١٨

سلسلة الدروس الثقافية

خاصّة الأولياء





خاصّة الأولياء

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت. لبنان. المعمورة. الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠

ص.ب. ٢٤/٥٣ .٢٥/٣٢٧



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب : خاصة الأولياء

إعداد :مركز نون للتأليف و الترجمة

نشر : جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة الاولى حزيران 2007م-1428هـ

خاصّة الأولياء



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

لقد أرسل النبي ﷺ رحمة للعالمين، ليؤسس لهم المجتمع السليم والأفراد الصالحين، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ذلك النور الذي نزل على قلب النبي ﷺ لينتشر ويعم المجتمع، ويعالج أمراضه في الدنيا بما يكفل التوازن وعدم الطغيان، ويفعّل الطاقات الإنسانية بالاتجاه الصحيح الذي يخدم البشر ويؤسس لحياة كريمة في الدنيا ليعتبر من خلالها إلى آخرةٍ بنيت بسلوك شريف ونفس سليمة وعقائد صحيحة، لتكون جناتٍ عرضها السماوات والأرض... ولكن كما يجبرنا الله تعالى، وكما يؤكد تاريخ الإنسان وسيرته على الأرض هناك دائماً من يحاول أن يطفئ هذا النور ويحطم هذا البيان ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[2]، وعندما يتعرض المجتمع للخطر ينبري أولياء الله المخلصون ليدافعوا عنه ويجاهدوا الأعداء «الجهاد باب من أبواب

(١) سورة التوبة، الآية ٨٨.

(٢) سورة الصف، الآية ٨.

الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه».

هذا الكتاب «خاصة الأولياء» يقدم للجهاد ويفصل الحديث عن صفات المجاهدين وما يملكونه من عقيدة وروحية، وما يظهر من سلوكهم في مجتمعاتهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1]. ليضاف إلى سلسلة الدروس الثقافية نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المجاهدين ويحشرنا مع الشهداء.

مركز نون للتأليف والترجمة

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

الدرس الأول

بركة الجهاد

الإنسان والجهاد

تميل غريزة الإنسان نحو الراحة والدعة، وتكره كل ما يسلب منها الراحة ويورث العناء وتبتعد تلقائياً عن الأمور الممزوجة بالمخاطر.

وأحكام الشريعة تضبط هذه الغرائز بما يتلاءم مع مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء.

ومن هنا كان تشريع الجهاد بما فيه من الآثار الهامة، يقول الله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ويشير القرآن الكريم إلى أمثلة كثيرة لتخلّف الناس عن الدعوة القائمة لجهاد العدو والدفاع عن الأرض والعرض والكرامة، ففي سيرة بني إسرائيل أنهم وبعد النبي موسى عليه السلام، تخلّفوا عن الالتزام بهذا الواجب المقدس، إلا القليل منهم، يقول سبحانه وتعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

فضل الجهاد

تشير الكثير من الآيات القرآنية والروايات الشريفة إلى فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، وتفضيل الإنسان المجاهد على القاعد والمتكاسل عن القيام بواجبه في الدفاع عن أمته ووطنه.

ففي الآية الشريفة يقول الله تعالى:

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[2]. وتشير بعض الروايات إلى المكانة المرموقة التي يحتلها الجهاد في سبيل الله بين العبادات الشريفة ففي الحديث عن أحدهم عن أبي جعفر عليه السلام: قال: «ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أما أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد»[3].

والسنام هو المكان المرتفع في ظهر الجمل، وهي أعلى نقطة في الظهر، والتشبيه بالسنام في الرواية بل وذروة السنام، واضح في تبيان مكانة الجهاد في رأس هرم الشريعة.

يقول الشيخ الكليني قدس سره صاحب كتاب الكافي تعليقا على هذه الرواية: «الجهاد ذروة سنامه لأنه سبب لعلو الإسلام».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٢، ص ٢٣ ـ ٢٤.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل تكن حياً عند الله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت، رجعت من الذنوب كما ولدت»[1].

وللمجاهدين في سبيل الله تعالى مراتب عالية من الكرامة في الآخرة منها ما أشار له الحديث الشريف عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله

«إن جبرائيل أخبرني بأمر قرت به عيني وفرّح به قلبي قال: يا محمد من غزا غزاة في سبيل الله من أمتك فما أصابه قطرة من السماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة»[2].

لماذا فرض الله الجهاد؟

للجهاد في سبيل الله تعالى آثار كبيرة في الدنيا، فمن آثاره صلاح المجتمعات وتحريرهم من العبودية لغير الله تعالى، وإخراجهم من ولايتهم للعبيد والملوك والترنح تحت سطوة رغباتهم إلى رحب الإسلام وعزته التي تعمّ الجميع على حدٍ سواء، وكذلك في الجهاد حفاظ على الدين والمؤمنين.

وهذا ما أشارت له الرواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية حيث يقول عليه السلام فيها:

«ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عز وجل على الأعمال وفضل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة، لأنّه ظهر به الدين وبه يدفع عن الدين وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعاً مفلحاً منجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله عز وجل من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد وإلى ولاية الله من ولاية العباد»[3].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٢، ص ١٦٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص ٨.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص ٣.

ومن المعاني المستفادة من هذه الرواية:

١. معرفة الرجال بالحق:

فلا أحد غير الرسل والمعصومين عليهم السلام ومن نصّب منهم علم للحق، ويقيِّم الآخرون كل الآخرين مهما علت مقاماتهم بمدى التزامهم بمنهج الحق، وهذا ما يحرر الفكر من التبعية للشخص، ويخرجه من الأشخاص، بحيث لا يحتكر من قبل القادر والقوي.

٢. الخروج من عبادة الهوى:

وقد تحدثنا أن هوى النفس ميال للدعة والراحة، وبالجهاد نخرج من عبادة الهوى ونمنع الغرائز من الطغيان.

٣. الانقياد للحاكم الظالم:

فمن معاني العبودية لغير الله تعالى والتي يهدف الجهاد إلى محوها من المجتمع الإسلامي الانقياد للحاكم الظالم، من خلال الثورة عليه ومنعه من بيع مصالح الأمة للأجنبي والدخيل.

٤. رفض ولاية المفسدين:

ومن تلك المعاني رفض المعطلين لحدود الله تعالى، والمفسدين وعدم الاعتراف بولايتهم على رقاب الناس، والخروج من ولايتهم لولاية من يقيم أمر الله تعالى ونهيه، فيأمر بالخير وينهى عن الفساد.

الجهاد وكرامة الأمة:

يورث الجهاد الكرامة للأمة، إذ أن الأمة التي تجاهد وتحافظ على أرضها وكيانها من التدخل الخارجي، والغزو العسكري والفكري والثقافي، أمة عزيزة تتمتع بأعلى معايير الكرامة التي يطمح لها إنسان، وهذا ما أشارت له الكثير من الروايات الشريفة فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «اغزوا تورثوا أبناء كم مجداً»[1].

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص٨.

وأشارت العديد من الروايات الشريفة إلى أن ترك الجهاد في سبيل الله هو سبب في مذلة الأمة وانسلاخ العزة والكرامة منها، وتخبطها بالعار والفقر ففي الرواية المشهورة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وفارق الرضا، وديّثَ بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد[1]، وأديل[2] الحق منه بتضييع الجهاد، وسئم[3] الخسف ومنع النصف[4]»[5].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «للجنة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم، ثم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله عز وجل ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه»[6].

الجهاد الأكبر والأصغر:

صنف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الجهاد إلى قسمين، والذي نتحدث عنه هنا هو الجهاد الأصغر، ولكي يوفق الإنسان في هذا الجهاد ويصل به لمرتبة يصبح فيها عبادة حقيقية لله تعالى وليكن سناما لذروة الدين كما في الحديث ينبغي على الإنسان المسلم أن لا يغفل عن جهاد أكبر أشارت له الرواية المشهورة فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله بعث بسريةٍ فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»[7].

---

(١) بالأسداد أي سدت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه.

(٢) الإدالة: النصر والغلبة والدولة.

(٣) وسئم الخسف أي اوتي الذل ويقال: سأمه خسفا ويضم أي أولاه ذلا وكلفه المشقة والذل.

(٤) والنصف: بكسر النون وضمها وبفتحتين، الانصاف.

(٥) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص ٤.

(٦) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص ٢.

(٧) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ج٥، ص ١٢.

ولنتذكر خطبة الجهاد «فتحه الله لخاصة أوليائه» فإن المجاهد الحقيقي هو من أولياء الله الذين استطاعوا أن يهذبوا أنفسهم ويبتعدوا بها عن الأخلاق السيئة والمعاصي الرذيلة، فلا جهاد حقيقي دون تهذيب النفس، ومن جهة أخرى فالجهاد هو أيضاً من مصاديق تهذيب النفس لأن فيه مخالفة للهوى والغرائز التي تدعو للاسترخاء ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾، فلا جهاد حقيقي من دون تهذيب النفس، ولا تهذيب نفس حقيقي دون جهاد، ما دام الإنسان مكلفاً به شرعاً وقادراً عليه بدنياً.

وفي النهاية نخلص إلى أن مياديننا الأولى أنفسنا فإن قدرنا عليها فنحن على غيرها اقدر وإن عجزنا في جهاد رغباتها فسينعكس ذلك على حياتنا وجهادنا وأعمالنا كلها.




خلاصة الدرس

تميل الغريزة الإنسانية نحو الراحة والدعة، وتكره كل ما يسلب منها الراحة ويورث العناء وتبتعد تلقائياً عن الأمور الممزوجة بالمخاطر.

وأحكام الشريعة تضبط هذه الغرائز بما يتلاءم مع مصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء، وتشريع الجهاد يضع حداً لهذه الرغبة الموجودة في الإنسان.

تشير الكثير من الآيات القرآنية والروايات الشريفة إلى فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، وتفضيل الإنسان المجاهد على القاعد والمتكاسل عن القيام بواجبه تجاه أمته ووطنه.

للجهاد في سبيل الله تعالى آثار كبيرة في الدنيا، وصلاح أهلها وفمن آثاره صلاح المجتمعات وتحريرها من العبودية لغير الله تعالى، وإخراجها من ولاية العبيد والملوك والترنح تحت سطوة رغباتهم إلى رحب الإسلام وعزته التي تعم

الجميع على حدٍ سواء، وكذلك في الجهاد حفاظ على الدين والمؤمنين.

يورث الجهاد الكرامة للأمة، إذ أن الأمة التي تجاهد وتحافظ على أرضها وكيانها من التدخل الخارجي، والغزو العسكري والفكري والثقافي أمة عزيزة تتمتع بأعلى معايير الكرامة التي يطمح لها إنسان.

صنف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الجهاد إلى قسمين، والذي نتحدث عنه هنا هو الجهاد الأصغر، ولكي يوفق الإنسان في هذا الجهاد ويصل به لمرتبة يصبح فيها عبادة حقيقية لله تعالى عليه أن لا يغفل عن جهاد النفس.



أسئلة حول الدرس



١ ـ ما العلاقة بين حب الراحة وتشريع الجهاد؟

٢ ـ لماذا شرع الله الجهاد؟

٣ ـ ما معنى أن الجهاد يورث الأمة الكرامة؟

٤ ـ ما الارتباط بين الجهاد الأصغر والأكبر؟



للحفظ



عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «للجنة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم، ثم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله عز وجل ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه».

عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «إن جبرائيل أخبرني بأمر قرت به عيني وفرَّح به قلبي قال: يا محمد من غزا غزاة في سبيل الله من أمتك فما أصابه قطرة من السماء أو صداع إلا كانت له شهادة يوم القيامة».





حكم الجهاد الابتدائي وإذن الوالدين

س ١٠٧٤: ما هو حكم الجهاد الابتدائي في زمن غيبة الإمام المعصوم عليه السلام؟ وهل يجوز للفقيه الجامع للشرائط المبسوط اليد «ولي أمر المسلمين» الحكم بذلك؟

ج: لا يبعد القول بجواز الحكم به للفقيه الجامع للشرائط الذي يلي أمر المسلمين إذا رأى أن المصلحة تقتضي ذلك، بل إن هذا القول هو الأقوى.

س ١٠٧٥: ما هو الحكم في القيام بالدفاع عن الإسلام عند تشخيص تعرض الإسلام للخطر مع عدم رضا الوالدين بذلك؟

ج: الدفاع الواجب عن الإسلام والمسلمين لا يتوقف على إذن الوالدين، ولكن مع ذلك ينبغي له السعي في تحصيل رضاهما مهما أمكن[1].





مفخخ.. غير مفخخ!!

المشهد الأول:

انتبهوا إلى ما أقوله جيداً، فأنا أتكلم بلغة العلم العسكري أولاً ومن خلال تجربتي الشخصية في الحرب مع «جماعة حزب الله» ثانياً!!

(١) أجوبة الاستفتاءات، السيد علي الخامنئي، ج١، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢، كتاب الجهاد.

وران عليهم صمت من هو جالس في عزاء..

كانوا كمجموعة مومياءات تصغي إلى نعيق بوم أبرص.. ضابط من جيش العملاء اللحديين يلقي آخر التعليمات للمجموعة العسكرية التي سوف تعمل تحت امرته في مواجهة رجال المقاومة.

«يمكن أن تجد جعبة مرمية على الطريق أو بندقية أو مطرة أو حتى مجلة أو جريدة أو قلم أو علبة دخان».

وصمت قليلاً وحدّق بهم.

«إياك إياك أن تمد يدك إليها.. فإنها يمكن أن تكون مفخخة!!

عليك انتظار الخبير وتطويق المكان.. أو اطلاق النار عليها من بعد.. وإذا صار وأردت أن تتناولها فمسؤوليتك على عاتقك، ويمكن تروح عليك».

ولم يمر وقت طويل منذ أن خرجت هذه الكلمات من فم الضابط ودخلت إلى آذان هؤلاء الجنود ولمّا تخرج من آذانهم الأخرى بعد.. حتى كانت الدورية العميلة تسير في موكب عسكري لكي تطبق الدروس التي تلقتها والفنون التي تعلمتها في مواجهة رجال المقاومة.

كان الضابط في سيارة الجيب خلف نصف المجنزرة وكانت مجنزرة أخرى تسير خلفه فكان موكباً مهيباً بكل معنى الكلمة.. وقد لا يجرؤ رجال المقاومة على مهاجمته.

إلا أن إشارة من رامي الرشاش الثقيل على المجنزرة صدرت فتوقف الرتل على أثرها عن التقدم.

لماذا توقفت؟ «صرخ الضابط»

يجيب الجندي: رأيت شيئاً على بعد خمسين متراً مرمياً على الطريق.

مرمياً على الطريق؟

نعم سيدنا..

حسناً لينزل ويذهب ويتأكد ولكن لا يمسه.. كما تكلمنا عند الصباح.

وفيما كان الجندي يتقدم إلى حيث الرشاش وكان الضابط يراقبه من بعيد، كان بقية الجنود ينتشرون على جانبي الطريق ويراقبون ما يجري. ومضت دقائق، وصل خلالها الجندي العميل إلى الرشاش وألقى نظرة عليه.

ماذا ترى؟ صرخ الضابط من بعيد

سيدنا رشاش كلاشينكوف فقط..!

هل تلاحظ أحداً أو شيئاً آخر حولك؟

كلا سيدنا لا يوجد أحد..

إذاً لا تلمسه فهو مفخخ قطعاً.

واقترب الضابط العميل واقترب معه بقية رجاله بحذر وهدوء ثم انتشروا على جانبي الطريق بينما كان الضابط يصل إلى حيث كان الجندي والرشاش ويقف فوقه تماماً متأملاً فيه ولعله كان يفكر في كيفية تفجيره أو في كيفية تفكيكه..

وليس من المهم أن نعلم ما الذي كان يفكر فيه هذا العميل فسوف يصبح هو نفسه بلا جدوى كلياً بعد قليل.

إذ سرعان ما انهمر الرصاص والقنابل اليدوية وقذائف الأنيركا من الرجال الذين أحسنوا الاختباء والتمويه بطريقة منهلة.

وفي اللحظات الأولى سقط الضابط العميل واثنان من الجنود العملاء صرعى بينما انتشر بقية الجنود مذهولين مذعورين يبحث كل واحد منهم عن زاوية تقيه هذه النيران.

استمر إطلاق النيران بكثافة من رجال المقاومة، فيما استمر العملاء في تخبئة رؤوسهم.

ومضت دقائق من الصمت، ودقائق أخرى، ولا من يجرؤ من العملاء على رفع رأسه حتى مرت عشر دقائق كاملة. كانوا بعدها يقفون الواحد بعد الآخر.. بينما الضابط والجنديان يسبحان في بركة من الدم.. والرشاش قربهما لا يتحرك..

المشهد الثاني:

بعد ساعة استغرقت قدومه من ساحة سراي بنت جبيل حيث كانت لهجته العصرية وتبجحه الزائد بقدرته على تفكيك عبوات «حزب الله» يلفتان الانتباه إليه، وقف عند الرشاش الكمين ينصت لأحد مرافقي الضابط القتيل:

اعتقد حضرة الضابط أن الرشاش مفخخ فاقترب منه مع شخصين فتبين أنه طعم لكمين.. وكنا بعيدين.. و..

وقاطعه الضابط اليهودي..

كان لازم يخللي باله أكتر من كده.. ده راح في داهية.

صحيح سيدنا.. ولكن هذه هي التعليمات.

عارف بس مش كل حاجة نلاقيها لازم تكون مفخخة يعني..

معك حق سيدنا.

وكعبقري في الحرب، وخبير متفجرات.. وطاووس متعجرف تقدم الضابط اليهودي إلى الرشاش وتناوله بهدوء.. وتأمله بدقة.. ثم وضع طلقة في بيت النار، ورفع فوهته إلى الأعلى وضغط على الزناد..

ودوى انفجار شديد.. كان الضابط اليهودي على أثره مرمياً ممزقاً..

لقد انفجر الرصاص بمجرد أن ضغط على الزناد.. فقد كان عبوة كاملة.. وضاعوا.. بين مفخخٍ وغير مفخخٍ..

الدرس الثاني

المجاهد والثقلين

تمهيد

يعتمد العمل الذي يقوم به الإنسان في الغالب على خلفية ثقافية يحملها في نفسه، فإكرام الضيف مثلاً لا يقوم به الإنسان مجرداً عن أي خلفية، وإنما يقوم به على أساس الثقافة التي تأمره بالكرم والإحسان للضيف وإكرامه...

كذلك المجاهد في سبيل الله تعالى لا بد وأن يحمل في طيات نفسه الثقافة الأصيلة التي تؤهله ليكون مجاهداً في سبيل الله تعالى، ومستعداً لبذل أغلى وأثمن ما ائتمنه الله تعالى عليه وهو الحياة الدنيا في سبيل الله سبحانه وتعالى.

الثقافة القرآنية

القرآن الكريم الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[1].

هو الكتاب الذي يستمد منه المجاهد في سبيل الله تعالى أساس الجهاد، وبه يستمد الروح المعنوية، ومنه، يقتبس الهداية.

(١) سورة الاسراء، الآية: ٩.

فمن القرآن الكريم:

❖ يتعلم المجاهد في سبيل الله تعالى حقيقة بذل الغالي والنفيس، والتجارة الرابحة التي عرضها الله تعالى على عباده المؤمنين حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

❖ ومن القرآن يتعلم المجاهد أن الشهادة في سبيل الله تعالى ليست موتاً، وإنما هي استكمال للحياة ولكن في عالم آخر، وأن الشهادة في سبيل الله تعالى ليست إلا معبراً وقنطرة إلى ذلك العالم المحفوف بنعمة القرب من الله جل وعلا، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ❁ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

❖ ومن القرآن الكريم يتعلم المجاهد إحدى الحسنيين التي هي غاية ما ينال المجاهد في هذه الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[3].

❖ ومن القرآن يعرف المجاهد أن الرمي في حقيته والتوفيق من الله سبحانه وأن عمله وإن كان مأجورا عليه، ما هو إلا بإرادة الله تعالى وتوفيقه وتسديده، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

❖ ومن القرآن يتعلم أن الشكر والاستغفار هو الطريق الأنجع للحفاظ على

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

الانتصارات الإلهية. يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❁ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ❁ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[١].

مدرسة أهل البيت عليهم السلام

ينتمي المجاهد إلى مدرسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام، وهي مدرسة زاخرة بالأحاديث التي تربي الإنسان، وتبين له كيف يجعل من حياته عملاً وطاعة لله تعالى، وحمل هذه الأحاديث علماً وعملاً له آثار في الآخرة ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من حمل من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «تذكروا وتلاقوا وتحدثوا؛ فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث»[٣].

فالثقافة التي تنطلق من القرآن الكريم أولاً والحديث الشريف ثانياً، هي الثقافة الأصيلة، والثقافة التي تنفع المجاهد، وتشكل المنطلق الصحيح في توجهه إلى سوح التضحيات.

ثقافة عاشوراء

إن أيام عاشوراء وذكرى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام هي المدرسة الحقيقية الكاملة التي تخرج أجيال المجاهدين والشهداء، هي مدرسة العطاء التي تصنع شخصية الإنسان المجاهد القادر على مواجهة الظلم بقلب مفعم بالإيمان والتضحية، شخصية قادرة على الوقوف أمام كل التحديات وتسطر أروع الملاحم وتهيئ الأرض لظهور قائم آل محمد عجل الله فرجه، مدرسة عاشوراء تختصر عمق معنى الإسلام الحقيقي المحمدي الأصيل، ويؤكد الإمام الخميني قدس سره على دور هذه المدرسة، فيقول: «إن كل ما لدينا هو من بركات مدرسة عاشوراء الحسين عليه السلام».

---

(١) سورة النصر.

(٢) المتقي الهندي، الوفاة: ٩٧٥ ـ كنز العمال، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان: ١٠ ـ ١٥٨ ـ ٢٨٨١٨.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ١ ـ ٤١ ـ ٨.

فمن عاشوراء نتعلم:

معادلة الدم مقابل السيف:

فإن ما أوصل سيد الشهداء عليه السلام إلى ذلك المصير هو الدين والعقيدة وقد ضحى عليه السلام بكل شيء من أجل العقيدة والإيمان وكانت النتيجة أن قتل وهزم عدوه بدمه.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «لقد انتصر الدم على السيف، ترون آثاره باقية حتى اليوم حيث ظل النصر حليفاً لسيد الشهداء عليه السلام، بينما الهزيمة ليزيد وأتباعه»[1].

التضحية وعدم الخوف:

يقول الإمام الخميني قدس سره: «لقد أفهمنا سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أن على النساء والرجال ألا يخافوا في مواجهة حكومة الجور، فقد وقفت زينب عليها السلام في مقابل يزيد . وفي مجلسه . وصرخت بوجهه وأهانته وأشبعته تحقيراً بما لم يتعرض له جميع بني أمية في حياتهم». وهذا قليل بل أقل من القليل الذي يمكن لنا أن نستلهمه من عاشوراء التي حمت الإسلام، بل التي اختصرت بها جلَّ معاني الإسلام الحقيقي.

ونشير إلى ما قاله الإمام الخميني المقدس رضوان الله عليه حول الارتباط بمدرسة عاشوراء: «منهاج الشهادة القاني، منهاج آل محمد وعلي، ولقد انتقل هذا الفخر من آل بيت النبوة والولاية إلى ذراريهم وأتباع منهاجهم»[2].

التفقه بالدين

يمثل التفقه في الدين خلفية ثقافية أساسية عند المجاهد، فالمتفقه في أمر دينه أعرف بواجبه وضوابط ذلك الواجب وحدوده، وبما أن للمجاهد في سبيل اله تعالى دوراً في أداء الرسالة من خلال تقديمه للأمة نموذج العطاء والبذل الحقيقين في

---

(١) عاشوراء في فكر الإمام الخميني قدس سره، مركز الإمام الخميني الثقافي.
(٢) صحيفة نور جزء ١٥ صفحة ١٥٤.

سبيل القضية المحقة، كان لزاماً عليه أن يكون على بينه وبصيرة من أمره كما يقول الله تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

فعلى المجاهدين أن يتفقهوا في الدين، التزاماً منهم بوصية الرسول الأكرم ﷺ حيث يقول: «لكلّ شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه»[2].

الثقافة الإسلامية العامة

كما أنه ينبغي للمجاهد أن يكون ذا ثقافة عامة واطلاع في أمور دينه ودنياه، فإنه وبالإضافة إلى الخلفيات التي تحدثنا عنها والتي تشكل الأساس المتين الذي يؤهل روحه للدخول في سلك المجاهدين العارفين بالقضية والهدف والطريق، فإن الثقافة العامة التي يملكها أمر مهم جداً، ولا سيما بعد أن عرفنا أن المجاهد يحمل بجهاده رسالة غير الرسائل العسكرية التي يسطرها ببندقيته، إنها رسالة تشير إلى الخلفية الإيمانية التي انطلق من خلالها في أداء هذه الواجب المقدس.

وقد أكدت على ذلك الكثير من الروايات الشريفة منها:

ما روي رسول الله ﷺ: «ليس يقوم بدين الله عز وجل إلا من حاطه من جميع جوانبه»[3].

وعن الإمام علي عليه السلام: «إنما المستحفظون لدين الله هم الذين أقاموا الدين ونصروه، وحاطوه من جميع جوانبه، وحفظوه على عباد الله ورعوه»[4].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ج: ١، ٢١٦، ٢٠.

(٣) القاضي النعمان المغربي الوفاة: ٣٦٣. شرح الأخبار. الطبعة: الثانية. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ٢، ٢٨٩.

(٤) غرر الحكم: ٢٩١٢.

معرفة الشبهات

فإن طرق الدنيا مليئة بشبهات المشبهين والمضلين، وقد تكون الشبهات في طريق المجاهدين أشد تأثيراً، وتلعب دوراً بارزاً في ترجيح كفة النصر أو الهزيمة، من هنا كانت معرفة المجاهد بالدين وتعمقه فيه بحيث يكون قادراً على درء الشبهات أمراً في غاية الأهمية، وعن الرسول الأكرم ﷺ: «احذروا الشبهة، فإنها وضعت للفتنة»[1].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما سميّت الشّبهة شبّهة لأنها تشبه الحق؛ فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال ودليلهم العمى»[2].

المعرفة السياسية

أمرٌ أخير في الخلفيات الثقافية نشير إليه وهو الخلفية السياسية ومقدار الوعي السياسي الذي يتحلى به المجاهد في سبيل الله، فالوعي السياسي له دور كبير في بناء العقيدة الجهادية للمجاهد، ووعي المجاهد بحال الزمن وأهله والسياسات التي تجري في العالم، تجعل حركته الجهادية مبنية على الأساس السياسي الذي يبين من خلاله الهدف المرحلي من الجهاد ومشروعيته، وبالإضافة إلى هذا تمنع من دخول الشبهات في الفكر السياسي بما يؤثر سلباً على عمله الجهادي، وقد أشارت لهذا الوعي في الإنسان المؤمن الكثير من الروايات فعن الإمام علي عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[3].

وعن الفطنة والوعي والحذر يقول عليه السلام: «أشرف المؤمنين أكثرهم كيساً»[4].

والكياسة هي الدراية والذكاء والوعي العالي.

(١) ابن شعبة الحراني، الوفاة: ق ٤، تحف العقول، الطبعة: الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ١١٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٨.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ١، ٢٧، ٢٩.

(٤) غرر الحكم: ٢٠٠٩.




خلاصة الدرس

يعتمد العمل الذي يقوم به الإنسان على خلفية ثقافية يحملها في نفسه، كذلك المجاهد في سبيل الله تعالى لا بد وأن يحمل في طيات نفسه الثقافة المحمدية الأصيلة التي تؤهله ليكون مجاهداً في سبيل الله تعالى، ومستعداً لبذل أغلى وأثمن ما ائتمنه الله تعالى عليه وهو حياته الدنيا في سبيل الله سبحانه وتعالى.

أهم هذه الخلفيات:

- ❖ الثقافة القرآنية
- ❖ المعرفة بالحديث
- ❖ مدرسة عاشوراء
- ❖ التفقه في الدين
- ❖ معرفة الشبهات
- ❖ الثقافة الإسلامية العامة
- ❖ الوعي السياسي




أسئلة حول الدرس

١ ـ ما المقصود بالخلفية الثقافية؟

٢ ـ ما هي الخلفية القرآنية ؟ اذكر مثالاً؟

٣ ـ لم ينبغي للمجاهد أن يعرف الشبهات؟

٤ ـ ما المقصود بالوعي السياسي؟




للحفظ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما سميّت الشّبهة شبّهة لأنها تشبه الحق: فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، وأما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال ودليلهم العمى».

عن الإمام علي عليه السلام: «إنما المستحفظون لدين الله هم الذين أقاموا الدين ونصروه، وحاطوه من جميع جوانبه، وحفظوه على عباد الله ورعوه».




فقه الجهاد

س ١٠٧٧: هل يجوز لأحد من المسلمين استملاك أحد من الكفار الكتابيين، أو غير الكتابيين من الرجال أو النساء في بلاد الكفار، أو في بلاد المسلمين أم لا؟

ج: لا يجوز ذلك، وأما مصير أسرى الحرب فيما لو فرض هجوم الكفار على البلاد الإسلامية فهو بيد الحاكم الإسلامي، والمسلمون كأفراد ليس لهم مثل هذه الصلاحية[1].




للمطالعة

اللقاء الأخير

دخل فواز إلى منزله والشرر يتطاير من عينيه ونبرات الغضب جلية في صوته:

ـ ألم أطلب منكِ أن تمنعيه من الخروج؟!

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، كتاب الجهاد.

. أجابت الأم المسكينة بهدوء وصبر:

. أمنعه؟! إنه شاب ولا يمكن أن أسجنه في المنزل طوال النهار!؟

وعلا صراخ الأب من جديد:

. لكنك تعرفين إلى أين يذهب؟

. أنا أعرف شيئاً واحداً فقط: إننا ربيناه أفضل تربية بحيث يبقى قلبي مطمئناً حيثما يذهب.

. حتى ولو ذهب إلى الموت؟

. لا أحد يذهب إلى الموت يا فواز، بل الموت يأتي إلينا ولو كنا في بروج مشيّدة!!

. كفي يا ليلى عن التأثير في ولدنا، فأنت التي تحضينه على اتباع هذا الطريق؟!

...

. اسمع يا فواز، أريد أن أقول لك شيئاً واحداً فقط!

. قولي.

. إن لكل إنسان عمراً محتوماً لا يتجاوزه أبداً وهو بمشيئة الله، وإذا كان عمر ولدي لا بد أن ينتهي وهو في ريعان شبابه فمن الأشرف لنا ألف مرة أن ينتهي بالشهادة وليس بأي شيء آخر.

. ليلى!.. قال ذلك بنبرة حادة.

أجابته بهدوء أعصاب:

. نعم يا فواز، إنها الحقيقة، هل تستطيع أن تمده بعمر جديد؟ هل تستطيع أن تنتشله من النار أو من أي شيء يصيبه؟

. كلاً! قال ذلك بحسرة.

. إذاً دع ولدك يعمل بما يرتاح.. سلمه لله.

. لقد سلمته لله يا ليلى ولكن!

. من دون لكن! ارضَ عنه ودعه ينطلق أكثر وشجعه بدلاً من أن تحاسبه: فبذلك يرتاح.

ـ حسناً يا ليلى! لكم ما تريدون.

خرجت ليلى إلى غرفة الجلوس لتجد هادي واقفاً ينظر من النافذة إلى البعيد نظرات تائهة والحزن بادٍ في عينيه.. اقتربت منه أمه وربتت على كتفه وهي تسأله بصوتها الحاني.

ـ أراك حزيناً يا هادي، ومضطرباً..

ـ أشعر في أعماقي بأنني أصبحت أقرب إلى الآخرة مني إلى الدنيا وأن رحيلي عن هذه الدنيا ليس ببعيد.

ـ وهل هذا يزعجك يا هادي؟

ـ طبعاً لا، لأن هذا ما أريده... تابع وقد غصت عيناه بالدموع: لا أريد أن أرحل عن هذه الدنيا وأبي غير راضٍ عني؛ ذلك يؤلمني ويحز في نفسي، بل يكسر أجنحتي التي سأرتفع بها..

ـ لا تحزن يا هادي لأن أباك قد اقتنع بعملك ووافق عليه.

تفاجأ هادي بالخبر وبدت الدهشة في عينه وصرخ بأعلى صوته:

ـ أمي! أحقاً ما تقولين؟!

ـ نعم يا حبيبي فلتذهب مطمئناً، ولتعمل بما يريحك وليهدأ بالك من ناحية أبيك.

الحمد لله.. الحمد لله.. سأذهب إليه، أين هو؟!

ـ ما زال في غرفته.

ـ ركض هادي فرحاً وما إن وصل إلى أبيه حتى اعتنقا وبكيا وكأنه موكب وداع وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر وعيناه تفيضان بالدموع وكأنه اللقاء الأخير.

الدرس الثالث

وضوح الرؤية

تمهيد

سنتحدث في هذا الدرس عن الخلفيات الثقافية التي تعنى بشكل أساسي بتشخيص الهدف الذي يقاتل من أجله المجاهد، فينبغي على المجاهد في سبيل الله تعالى أن يكون لديه من وضوح الرؤية ما يمكنه من تشخيص مسار الجهاد، ضد من ولماذا، والعدو الحقيقي من العدو الوهمي وغيرها من الأمور وهذا ما سنشير إليه بشيء من التفصيل.

من هو العدو الحقيقي؟

تقع الكثير من الجهات التي ترفع راية الجهاد في الشبهات، وتصنف الأعداء من دون أن تستند بذلك لمبرر من الشرع المقدس، وهذا ما يحرف مسارها من الدفاع عن الأمة ومصالحها إلى الإضرار بالأمة وتشكيل خطر إضافي عليها.

ومن أبرز المصاديق لهذه الجماعات ما يسمى بالتكفيريين، والذين اتخذوا من الكثير ممن يخالف معتقدهم موقفاً بإخراجهم من ربقة الدين، والحكم بجواز قتلهم...

ولشدة ما أساؤوا للجهاد والإسلام بهذا التصرف، أصبح من اللازم أن ننبه إلى خطورة ما لعواقب انحراف مسيرة الجهاد والمقاومة عن المسار الحقيقي، ولهذا ينبغي أن نلجأ للإسلام الحقيقي لمعرفة من هو العدو الذي ينبغي أن نجاهده ونقاومه، وما هي الطرق الصحيحة والشرعية للجهاد وما هي الضوابط التي ينبغي الالتزام بها في الجهاد.

فالعدو الحقيقي هو الذي يشكل تهديداً حقيقياً من خلال أمرين:

الهجمة العسكرية:

وينبغي في هذا الإطار أن تهب الأمة جمعاء لمقاومة هذا الغزو والدفاع عن الأرض والعرض والكرامات وهذا حق للإنسان تكفلت بمنحه إياه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

الهجمة الثقافية:

وينبغي أن تجابه بالعلم والفكر والحوار البنّاء الساعي للوصول للحقيقة، بدون استعلاء ولا مراء، وللجهاد الثقافي دور هام ويتم بأساليب في غاية المرونة، وهو أشبه ما يكون بالطب من حيث الاهتمام والحرص والمداراة، وهو ما يسمى بالتبليغ.

العدو الحقيقي للأمة اليوم

نحن نعيش في زمن سقطت فيه الأقنعة وظهر الأعداء بشكل واضح وعلني، ولا نحتاج لكثير من الوعي لتشخيص العدو المتمثل بالاحتلال الأمريكي والصهيوني، فالإدارة الأمريكية التي تعمل وفق أولوية الحفاظ على الكيان الصهيوني في منطقتنا كشرطي يمنع من قيام الأمة ويسيطر عليها ويستعبدها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً... لا شك أن هذه الإدارة هي العدو.

والجرثومة نفسها هي عدو أيضاً، وهي أداة بيد الإدارة الأمريكية، وهذا ما رأيناه جلياً في حرب تموز ٢٠٠٦ م. والتي بذلت فيها كل الإمكانات العسكرية

والسياسية للقضاء على النبض الحي في الممانعة في العالم الإسلامي والعربي.

الدور والهدف من الجهاد

إن الجهاد في الحقيقة يتضمن مشروعين: مشروع للفرد ومشروع للأمة والمجتمع، فهناك أهداف على المستوى الفردي والشخصي وأخرى على المستوى الاجتماعي.

الهدف الشخصي

قد تتعدد الأهداف الشخصية وتختلف من شخص إلى آخر فأبواب طاعة الله تعالى كثيرة ولكن هناك هدف أساسي يجب أن يشترك به كل المجاهدين وكل الأهداف الأخرى في الحقيقة ترجع إلى هذا الهدف وهو رضى الله تعالى...

وهو الهدف الأسمى والأساسي الذي تتمحور حوله كل حركة يقوم بها الإنسان المؤمن أو سكون يلتزم به، والجبهة هي من الأمكنة الخاصة التي تتميز بجو الصفاء والروحانية والقرب من الله تعالى.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «ميدان الجبهة هو ميدان التعبد، وفيه لا يوجد دخالة لأي عامل آخر حتى العقل وإذا كنا ملتفتين إلى هذه المسألة وجعلنا التقوى هدفنا والتحرك لمرضاة الرب غايتنا ستتحقق عندها كل غاياتنا».

وإذا كان الجهاد طريقاً لتحقيق رضى الله تعالى، وباباً للتقرب منه، فأي نعمة وأي توفيق إذا توفق أحدنا للدخول إلى هذا الميدان، ميدان الجهاد، الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة...»[1].

من هنا نجد الإمام الخامنئي دام ظله يقول: «أيها الأخوة الأعزاء عليكم أن تعتبروا حمل المسؤولية في القوات العسكرية هبة إلهية وتوفيقاً عظيماً، وذلك أن يوفق الإنسان ليكون في خدمة دين الله وأتباع دينه، حيث يستفيد أيضاً ليوظف إمكاناته واستعداداته في أفضل طريقة، عليكم أن تعلموا أن هذا توفيق إلهي يتوجب شكره ويجب أن تحافظوا عليه».

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

الهدف الاجتماعي

لا تقف أهداف الجهاد عند الأفراد والحالة الفردية، فالجهاد هو حركة اجتماعية وله آثاره العامة وأهدافه التي تتجاوز مصالح الفرد لتشمل المجتمع وتحقق مصالحه، ويمكن اختصار مصالح المجتمع ضمن الأهداف التالية:

١. القيام لله تعالى

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: سمعتم بآذانكم المعنوية النداء القرآني السماوي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ...﴾[1].

فالقيام لله يشمل الحفاظ على حدود الله سبحانه وتعالى وأحكامه، والمحافظة على الدين ونهجه الصحيح في المجتمع.

٢. الاستقلال والدفاع عن البلاد

إن الاستقلال له أهميته الخاصة في ظل أطماع المستعمرين الذين يحاولون السيطرة والتسلط على كل ما هو للغير.

من هنا كانت كل حضارة وكل مجتمع بحاجة لقوة تمنع طمع الطامعين وتضمن عدم تعديهم وتجاوزهم، هذه القوة تشكلها القوات المسلحة المقتدرة ومع غياب مثل هذه القوة سيكون من غير الممكن المحافظة على الاستقلال.

مواجهة العدو

في الجهاد لا بد من ثقافة كيفية التعاطي مع العدو، وهذا شرط من الشروط التي تحافظ بها على موقعك المتقدم لتكون كفك الأعلى، ومن أهم الأمور التي ينبغي معرفتها في هذا المجال:

أ. عدم الاستخفاف بالعدو

فالاستخفاف بالعدو آفة كبرى تصيب المجاهد، وهذا ما حذرت منه الروايات، فمهما بدا العدو ضعيفاً لا ينبغي الاستخفاف به وترك الحذر بناءً على الاستخفاف به...

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

فعن الإمام علي عليه السلام: «احذر استصغار الخصم، فإنه يمنع من التحفظ، وربّ صغير غلب كبيراً»[1].

فآفة الاستخفاف بالعدو ترك الحيطة من جانبه، وقد يصل الأمر لمرحلة يغفل فيها المجاهد عن سلاحه، وهذا ما حذرنا الله تعالى منه حيث يقول:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تستصغرن أمر عدوك إذا حاربته؛ فإنك إن ظفرت به لم تحمد وإن ظفر بك لم تعذر، والضعيف المحترس من العدوّ القويّ أقرب إلى السّلامة من القويّ المغترّ بالضعيف»[3].

ب- اليقظة الدائمة

فالعدو ليس بالغبي، بل يخطط ليلاً ونهاراً للنيل منك، فعن الإمام علي عليه السلام: «شرُّ الأعداء أبعدهم غوراً وأخفاهم مكيدة»[4].

وفي أيامنا هذه، يسعى الكيان الصهيوني الذي تلقّى صفعة في حرب تموز والتي كسرت هيبة الردع لديه، يسعى بالتخطيط لكيفية استعادة هذه الهيبة المفقودة، والحذر والحيطة من العدو أمر أشارت له الكثير من الروايات منها:

- عن الإمام علي عليه السلام: «من نام لم ينَم عنه»[5].

---

(1) المعتزلي، ابن أبي الحديد، الوفاة ٦٥٦، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، سنة الطبع: ١٢٧٨، ١٩٥٩م: ٢٠، ٢٨٢، ٢٢١.

(2) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(3) المعتزلي، ابن أبي الحديد، الوفاة ٦٥٦، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، سنة الطبع: ١٢٧٨، ١٩٥٩م: ٢٠، ٣٠٩، ٥٤٢.

(4) غرر الحكم: ٥٧٨١.

(5) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

عنه عليه السلام: «جماع الغرور في الاستنامة إلى العدوّ»[1].

عنه عليه السلام: «من نام عن عدوّه أنبهته المكايد»[2].

عنه عليه السلام: «كن من عدوّك على أشد الحذر»[3].



خلاصة الدرس

تقع الكثير من الجهات التي ترفع راية الجهاد في الشبهات، وتصنف الأعداء من دون أن تستند بذلك لمبرر من الشرع المقدس، وهذا ما يحرف مسارها عن خط الجهاد إلى خط آخر.

العدو الأول والأخطر هو الذي يتهدد الإسلام وأهل الإسلام، من خلال التهجم عليه وهذا ما يكون من خلال أمرين: الهجمة العسكرية لاحتلال الأرض ونهب الثروات، والهجمة الثقافية التي تتعرض للدين والمعتقد.

إن الجهاد في الحقيقة يتضمن مشروعين: مشروع للفرد ومشروع للأمة والمجتمع، قد تتعدد الأهداف الشخصية وتختلف من شخص إلى آخر فأبواب طاعة الله تعالى كثيرة ولكن هناك هدف أساسي يجب أن يشترك به كل المجاهدين وكل الأهداف الأخرى في الحقيقة ترجع إلى هذا الهدف وهو رضى الله تعالى.

من الأهداف الاجتماعية للجهاد:

القيام لله تعالى، الاستقلال والدفاع عن البلاد.

في الجهاد لا بد من ثقافة كيفية التعاطي مع العدو، وهذا شرط من شروط التي تحافظ بها على موقعك المتقدم لتكون كفك الأعلى ومن أهم نقاط هذه الثقافة:

عدم الاستخفاف بالعدو.

الحذر من العدو.

---

(1) غرر الحكم: ٤٧٧٥.

(2) غرر الحكم: ٨٦٧٢.

(3) غرر الحكم: ١٠٢٠١.





أسئلة حول الدرس

١ـ ما المقصود بالخلفيات الثقافية؟

٢ـ إذا وقع المجاهد في الشبهات ما هو مصير عمله؟

٣ـ ما معنى الحذر من العدو؟

٤ـ هل الاستخفاف بالعدو خطير، ولماذا؟




للحفظ

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾.




فقه الجهاد

لو توقف حفظ الاسلام على اراقة دم نفس محترمة

س ١٠٧٨: لو افترضنا أن حفظ الإسلام المحمدي الأصيل يتوقف على إراقة دم شخص محترم النفس، فهل يجوز لنا مثل هذا العمل؟

ج: إن إراقة دم النفس المحترمة بلا حق حرام شرعاً ويتعارض مع أحكام الإسلام المحمدي الأصيل، وعلى هذا فلا معنى للقول بأن حفظ الإسلام المحمدي

الأصيل يتوقف على قتل شخص بريء، وأما إذا كان المقصود من ذلك هو قيام المكلف بالجهاد في سبيل الله عزت آلاؤه، والدفاع عن الإسلام المحمدي الأصيل، في الحالات التي يحتمل فيها تعرضه للقتل، فذلك له موارد مختلفة، فإذا شعر المكلف حسب تشخيصه بأن بيضة الإسلام في خطر فيجب عليه النهوض للدفاع عن الإسلام، حتى وإن كان في ذلك خوف تعرضه للقتل[1].





حاملو الأمانة

بذل الشهيد حسن الأخرس قصارى جهده لكي يخفي علاقته بالمقاومة الإسلامية، حفاظاً على مهمته ودوره.

لقد كان من رجال الاستطلاع المهرة ومن أسود المقاومة الإسلامية الذين كانت تعتمد عليهم قيادتها في نقل المجموعات المقاتلة عبر الوديان والجبال لمعرفته الدقيقة بمسالكها ودروبها.

وكانت مهمته في ذلك اليوم مزدوجة تحمل في طياتها صعاباً ومخاطر... فقد كان عليه قيادة مجموعة من المقاتلين الذين ينبغي أن يلتحقوا بقوات المقاومة المحاصرة، وكانت الطريق محفوفة بالمخاطر، ولم يكن عند المقاومة أفضل من الشهيد حسن الأخرس لإيصال المجموعة بأمان بدون احتكاك بأحد وبدون تعريضها لخطر الوقوع في كمائن العدو.

وكان عليه أيضاً إيصال أمانة أخرى لقيادة المقاومة هناك... وأضافت الحقيبة العسكرية على ظهره ثقلاً فوق ثقل المهمة الكبيرة، فقد كان عليه أيضاً أن يتصرّف كقائد مجموعة وليس كدليل فقط.

وسار الرجال وراءه، وقد وضعوا كل ثقتهم فيه، ينفّذون أوامره بحرفيتها

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، كتاب الجهاد.

ويطبقون تعليماته بدقة... فتوغلوا في الطريق الجبلية الوعرة، وأصبحوا من هدفهم قاب قوسين أو أدنى، ولكن صلية من رشاش نثرت التراب بين قدمي الشهيد حسن الأخرس فصرخ في المجاهد الذي خلفه:

وقعنا في كمين... تحوّل إلى ذلك الطريق مع الشباب واقصد ذلك المنخفض واتجه من هناك غرباً، بسرعة.

لم يقل له شيئاً، ولم يعترض، ولم يسأله عن نفسه، ولم يخطر بباله أن يقول له: وأنت؟ ماذا ستفعل؟

فقد كانت أوامره صارمة، لا تقبل النقاش...

وبسرعة انحنى المجاهدون وبدّلوا طريقهم واختفوا من مرمى الكمين بمناورة ناجحة ولم يشتبكوا معه.. ولكن الرصاص كان يملأ مسامعهم وأفئدتهم التي غمرها عشق لم يرتوِ من هذا المجاهد الذي قادهم وأمر بتركه وحيداً فغادروه بدون أن يستطيعوا معه قتالاً... بينما صوت طلقات بندقيته يصل إلى مسامعهم وكأنه كلمات وداع...

بندقية الشهيد تواجه عشرات البنادق، ولم يعلموا ما الذي جرى له وكيف يشتبك معهم لوحده وكيف يخوض المعركة، إلا أنهم أخذوا يبتعدون رويداً رويداً وصوت الرّصاص يختفي أيضاً رويداً رويداً.

ومرّت الأيام، ولم يكن أمام أفراد المجموعة بعد وصولها إلا همّ معرفة الذي حصل للشهيد، بينما كان أمام قيادة المقاومة هم آخر أيضاً... الرسائل التي يحملها لها طابع غير عادي، فاستبدّ بالقيادة القلق وقررت إرسال مجموعة تستطلع وضع الشهيد، وحقيبته السرّية.

وتوغّلت المجموعة يعاونها المجاهد الذي كان يسير خلف الشهيد وأمره بقيادة المجموعة بدلاً منه. ووصلت إلى نفس المكان الذي فارقهم فيه إلا أن أثراً له هناك لم يكن موجوداً.

أين هو إذن؟

وتفرق الرّجال يمنة ويسرة وأمعنوا في البحث وابتعدوا عن ذلك المكان، وعلى بعد خمسين متراً وتحت جبّ للعليق وجدوا الشهيد ولكن الحقيبة كانت فارغة...

لقد وقع المحذور إذن...

وحمله الإخوان وقفلوا عائدين.

«ولكن الشهيد حسن الأخرس كان أذكى وأحرص من أن يحصل معه ذلك».

حدّث قائد المجموعة نفسه بذلك، وأطرق يفكر ملياً حتى هبطت عليه رحمانية فالتفت إلى المجاهد الذي كان يرافق الشهيد وفارقه في اللحظة الأخيرة:

لنعد إلى المكان الذي أمرك فيه الشهيد بإكمال السير بدونه.

وعادا بدون تردّد.

وهناك أخذ يبحث آمر المجموعة بين الصخور والأشواك والأعشاب بدقة، ويقلب الأحجار، يبحث عن شيء...

وفعلاً وفي نفس المكان الذي كان يقف فيه الشهيد لحظة الرماية عليه من الكمين وتحت صخرة، كان الكيس المشمّع الذي يحوي الأمانة مدفوناً تحت التراب...

ولكي يضلل الكمين ابتعد عن مكان الأمانة واشتبك معه فأنقذ المجموعة، وأما الأمانة فقد أوصلها بعد شهادته.

الدرس الرابع

صفات المجاهد

هناك العديد من الصفات النورانية التي تسيطر على قلب المؤمن المجاهد لتنيره وتجعله ساحة من ساحات الطاعة ومهبطاً لملائكة الرحمة، ونشير إلى بعض من هذه الصفات ضمن الفقرات التالية.

لمن نجاهد؟

سؤال مهم يحدد لنا الوجهة التي تسير بالمجاهد، فإن الجهاد كوظيفة دينية، وكواجب على الفرد والجماعة لا بد وأن يكون بشروط الواجبات العبادية - حتى يكون مقبولاً -، وكل واجب عبادي مشروط بالتقرب لله تعالى، بمعنى أن يكون القصد من العمل التوجه إلى الله تعالى بالطاعة والالتزام بالأمر، من دون أن يتوقف عمل المكلف على أن يمتدحه أي شخص على العمل، ولا أن يحوز عمله رضى أيٍّ من المخلوقين، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «العمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل»[1].

اختبار النفس

تحدثنا الرواية عن نبي الله موسى عليه السلام عن المراقبة الدائمة للنفس والاختبار

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢، ١٦، ٤.

الذي ينبغي على المؤمن أن يجريه على نفسه لقياس مدى إخلاص عمله لله تعالى، فالمراقبة المستمرة تسد كل المنافذ على الشيطان الرجيم، وهو الذي تعهد بإغوائنا جميعاً كما تنقل لنا الآية الكريمة:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

فالشيطان يسعى أن ينفذ للنفس من أي ثغرة يتركها الإنسان من دون رقابة، ولهذا كان علينا أن نجري اختبار الاخلاص بشكل مستمر لكي نتأكد من خلوص النية لله تعالى وحده، ولنتأمل معاً في هذه الرواية الجميلة التي رواها العلامة المجلسي في بحار الأنوار في قصة موسى وشعيب عليهما السلام، قال: «فلمّا دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيأ، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش، فقال له موسى: أعوذ بالله! قال شعيب: ولم ذاك؟ ألست بجائع؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً. فقال له شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عاداتي وعادة آبائي، نقري الضّيف ونطعم الطّعام. قال: فجلس موسى يأكل»[2].

كل شي بيد الله

إن الأمور في الدنيا تجري كلها بإرادة الله تعالى وإذا كانت الأمور بيده فهل نلجأ إلى سواه؟! وباتكال الإنسان على الله تعالى يهيّىء الله تعالى له الأسباب، وبالاستعانة به يؤمّن له المخارج من كل المحن التي تمر عليه يقول الله تعالى:

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[3].

ومن آثار إيكال الأمر إلى الله تعالى:

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ١٣ ـ ٢١.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

القوة:

ففي الحديث الشريف عن الرسول الأكرم ﷺ: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[1].

الكفاية والرزق:

فقد ورد في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «من توكّل على الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب»[2].

وقد سأل الرسول الأكرم ﷺ جبرائيل عليه السلام عن التوكل على الله فقال: «العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليّأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرجُ ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التّوكل»[3].

حب البذل والعطاء

عندما تتحدث عن الجهاد في سبيل الله تعالى فإنك تتحدث عن البذل والعطاء، فالمجاهد يعطي من وقته وحياته وراحته في سبيل الله تعالى، وهذا ما يسمى بالبذل، ولو اقتضى أن يعطي الجهاد أكثر مما يعطي نفسه من حاجتها للدعة والراحة والاستقرار صارَ البذل إيثاراً، يقول الله تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

وقد ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله»[5].

---

(١) ابن شعبة الحراني، الوفاة: ق ٤، تحف العقول، الطبعة: الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص ٢٧.

(٢) المتقي الهندي، الوفاة: ٩٧٥، كنز العمال، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: ٣ـ ١٠٣ـ ٥٦٩٣.

(٣) الصدوق، الشيخ، الوفاة: ٣٨١، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ٢٦١ـ ١.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) المعتزلي، ابن أبي الحديد، الوفاة ٦٥٦، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، سنة الطبع: ١٣٧٨ـ ١٩٥٩م: ١٨ـ ٤١.

وأبلغ معاني البذل والعطاء في سبيل الله تعالى أن يقدم الإنسان دنياه قرباناً لله تعالى فداءً لأرض المسلمين ومقدساتهم، ودفاعاً عن الشرف والكرامة، والقضايا المحقة.

ما هي قيمة الدنيا؟

ولكي يكون الإنسان على استعداد لهذا البذل والعطاء الكبير وهو التخلي عن الحياة الدنيا، عليه أن يوقن بأن الدنيا لا معنى لها، وأنها ليست بدار مقر، وإنما هي معبر للآخرة، وهذا ما يسمى بالزهد.

فإن الزهد في الدنيا من خير الخصال، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[1].

ومن آثار الزهد على قلب الإنسان خلو قلبه من التعلق بالدنيا والتأثر بإقبالها أو إدبارها، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يعلمنا الدرس ففي الرواية عن سويد بن غفلة قال:

«دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟! فقال عليه السلام: يا بن غفلة، إن اللبيب لا يتأثث في دار النُّقلة، ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإنّا عن قليل إليها صائرون»[2].

الهمة العالية

المقصود من الهمة العالية، هو الإسراع لأداء المهام، والسعي للوصول بها إلى أفضل نتيجة ممكنة، وعدم التلكؤ في تنفيذ الواجب.

فالإنسان النشيط، ذو الهمة العالية، هو أكثر الناس نجاحاً، لأن جلَّ الأمور في الحياة تعتمد على نشاط العامل، وحسن متابعته، وسرعة أدائه للوظيفة المناطة به.

وكما في سائر أمور الحياة، ففي الجهاد أيضاً ينبغي للمجاهد أن يكون ذا همة

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢، ١٢٨، ٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٠، ٣٢١، ٣٨.

عالية، وهذا ما أكدت عليه العديد من الروايات ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «خير الهمم أعلاها»[1].

وقد ورد في الدعاء عن إمامنا زين العابدين عليه السلام: «أسألك من الشهادة أقسطها ومن العبادة أنشطها.. ومن الهمم أعلاها»[2].

وقد أشارت بعض الروايات أن بعض الخصال كالحلم والصبر هما نتاجٌ لعلو الهمة، فعن الإمام علي عليه السلام: «الحلم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمّة»[3].

وذلك لأن من يتحلى بعلو الهمة، إنما يتميز بحبه للسعي للوصول لأفضل النتائج في العمل، وهذا ما يتطلب هاتين الصفتين الجميلتين، الصبر، والحلم، لأن لهما دوراً كبيراً في إصلاح أمر الإنسان.




خلاصة الدرس

كل واجب عبادي مشروط بالتقرب لله تعالى، بمعنى أن يكون القصد من العمل التوجه إلى الله تعالى بالطاعة والالتزام بالأمر، من دون أن ينتظر المكلف أن يمتدحه أي شخص على العمل.

إن الأمور في الدنيا تجري كلها بإرادة الله تعالى، وباتكال الإنسان على الله تعالى يهيّىء الله تعالى له الأسباب، وبالاستعانة به يؤمّن له المخارج من كل المحن التي تمر عليه.

أبلغ معاني البذل والعطاء في سبيل الله تعالى أن يقدم الإنسان روحه قرباناً لله تعالى فداءً لأرض المسلمين ومقدساتهم، ودفاعاً عن الشرف والكرامة، والقضايا المحقة.

لكي يكون المجاهد قادراً على البذل والإيثار عليه أن يوقن بأن الدنيا لا معنى لها،

(١) غرر الحكم: ٤٩٧٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ٩٤. ١٥٥. ٣٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٦٠.

وأنها ليست بدار مقر، وإنما هي معبر للآخرة.

المقصود من الهمّة العالية، الإسراع لأداء المهام، والسعي للوصول بها إلى أفضل نتيجة ممكنة، وعدم التلكوء في تنفيذ الواجب.



أسئلة حول الدرس



١ ـ بأي معنى يكون حب المديح والتكريم منافياً لنية القربة؟

٢ ـ ما أهمية عدم تعلق القلب بالدنيا؟

٣ ـ ما هو أثر الهمّة العالية؟

٤ ـ هل كل بذل يسمى إيثاراً؟



للحفظ



عن الإمام الصادق عليه السلام: «جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا».

عن الإمام علي عليه السلام: «إن اللبيب لا يتأثث في دار النقّلة، ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإنّا عن قليل إليها صائرون».

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله».

فقه الجهاد



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

س ١٠٧٩: ما هو حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما إذا استلزم المس بكرامة تارك المعروف أو فاعل المنكر وحط حيثيته أمام الناس؟

ج: إذا كان يراعي في الأمر والنهي شروطهما وآدابهما ولا يتجاوز حدودهما فلا شيء عليه في ذلك.

س ١٠٨٠: بناء على أن واجب الناس، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل الحكومة الإسلامية، هو الاقتصار على الأمر والنهي باللسان، وأن المراتب الأخرى منهما تقع على عاتق المسؤولين، فهل يعتبر هذا الرأي حكماً من قبل الدولة أم فتوى؟

ج: يكون فتوى فقهياً[1].





آخر الطريق...

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

ها قد انتهت الطريق، العدو من ورائهما وحقل من الألغام يمتد أمامها، ومجموعة بكاملها تنتظرهما قد تتعرض لهجوم يقضي عليها، إذا لم يستطيعا التعامل مع الموقف بحكمة.. بقيا وحدهما بعد استشهاد قائدهما بصاروخٍ نجيا منه بأعجوبة، ولكنه أفقدهما كل وسائل الاتصال مع رفاقهما..

والآن، يقفان وقد بدأت أمواج الليل تتكسر عند بريق الضوء الأول للفجر الكاذب، ثيابهما العسكرية شبه ممزقة، والتعبُ حط رحاله على كاهلهما، حتى كأن لهاثهما يصعد إلى السماء.

كل واحد منهما ينظر إلى الآخر، «رضا» و«موسى»، شابان في مقتبل العمر، كان من المفترض أن يصلا إلى نقطة معينة لهما في الداخل المحتل، لكن تحليق طائرات الاستكشاف، وطلعات الطيران الحربي التي ألقت بقذائف أدّت إلى استشهاد

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦.

مسؤول المجموعة «مَرشد الطريق»، وأيضاً إلى تحريف وجهة سيرهما بسبب غزارة الصواريخ..

كانت ليلةً قاسية، غاب فيها ضوء القمر، وانتشر ضبابٌ كثيف على أكتاف الأودية والجبال.. جلسا ليرتاحا قليلاً فهما منذ ثلاثة أيام لم يتدثرا براحة ولو قليلة..

البردُ قارس، وصمتٌ رهيب نشر جناحيه على وجهيهما المموهين بالتراب والدماء.. الآن عليهما تفكيك بعض الألغام ليصلا إلى أقرب نقطة تعود بهما إلى الطريق الصحيح، ولكن على أحدهما أن يمشي في حقل الألغام قبل الآخر.. نظر «رضا» وقد علت محياه بسمة متعبة قائلاً له بأسلوب حازم: «الآن قد استشهد قائد المجموعة علينا أن نؤمر أحدنا لنعبر هذا الحقل، وبما أني الأكبر سناً فسأتولى أنا القيادة، وبما أني القائد فسأمشي في الحقل قبلك».

انتفض موسى من مكانه ولمعت عيناه شرارات الاستنكار: «لا، بل أنا من سيمشي في الحقل قبلك».

هدأ «رضا» من روعه: «اسمع يا صديقي، أنا من ساعدك ودربك في عمل التخريب، هذا يعني أن خبرتي تفوق خبرتك».

نكس «موسى» نظراته إلى الأرض وقد انهمرت دمعة قطعت نبراته الشجية: «لو كنتُ أكيداً أنك تود المشي قبلي لأجل ذلك ما أوقفتك يا رفيق دربي، ولكني أدرك أنك تؤثرني على نفسك، ويصعب عليّ الموافقة. لقد قضينا أياماً طويلة معاً كانت كفيلة أن نحفظ عدد أنفاس بعضنا.. أتذكر، كنا مجموعة من خمسة، استشهد ثلاثة منا وبقينا نحن.. أنتَ وأنا كلانا يخشى أن يستشهد رفيقه قبله.. إني لأدرك عمق الحزن الذي يحيا بداخلك منذ استشهادهم، أنا أيضاً تعبتُ من الغربة، والآن تريد أن ترحل دوني أنتَ أيضاً؟! كيف سأسمح لك أن تمشي لتفكك الألغام كي أعبر بسلام، ويل نفس إن قبلتْ، شُلّت قدماي وعميت عيناي وزهقت روحي إن أنا تركتك...».

شدّ «رضا» على عضدي «موسى» وبكى: لماذا تصعب عليّ الموقف، أتظن أيضاً

أني تاركك للعبور قبلي، وكيف لي أن أفكك لغماً وعيني وقلبي وجميع حواسي ترافقك خوفاً عليك».

موسى: «اسمع، لقد انطلقنا معاً، وسرنا تلك الطريق الطويلة كلها معاً.. كلانا يتمنى الشهادة للآخر، فهي منية الروح التي تحاكي النجوى، والآن إذا تأخرنا سيكون رفاقنا بخطر، فالعدو قد يداهمهم في أية لحظة، إني لأقبل لك القيادة بيننا، ولكني أرجو منك أن تسمح لي أن أمشي قبلك».

شدّ «رضا» أحزمة جعبته: «لا.. ولكني سأقسم الحقل نصفين، فنسير متوازيين، فمن استشهد منا فقد نالت روحه ما تمنت، ومن لم يستشهد فعليه مواصلة الطريق..».

ورمق الحقل الذي بدأ يتلون بلون الفجر، وطلب إلى صديقه أن يتوضأ ليصليا معاً صلاة الصبح.. وقفا متساويين: كبرا.. ركعا.. سجدا..

وحان الوقت، نظرا إلى بعضهما، وأوصى كل واحدٍ منهما رفيقه، وافترقا قليلاً ثم بدءا قليلاً بتفكيك العبوات الأولى، كانا يسيران بخطٍ متوازٍ ولم يخطُ أحدهما خطوة قبل أن يخطو رفيقه... عبرا نصف الحقل، وأيديهما التي تتقن عملها ترافقها شفاه تلهجُ في كل حين بذكرٍ تعودت عليه.

رمقا نهاية الطريق، خطوتان ويعبران إلى برّ الأمان، إنها لمسات أخيرة انتهت وهما يناديان لبعضهما بعد أن دوى صوت انفجار قوي لصاروخ ألقته طائرة حربية، لكن أحداً لم يرد النداء، فقط حبات المطر المنهمرة بغزارة كسرت السكون الذي غطى جسديهما المنغرس بين التراب المبلل والدماء..

لقد عبر «موسى» و«رضا» حقل الألغام، وأمّنا طريقاً سالمة لرفاقهما الذين عندما عبروا وجدوا جثتيهما شبه متناثرة الأشلاء، غير أن يدي «رضا» ممسكة بيد «موسى» ولقد لونتا بالنجيع.. لا شيء يفرقهما حتى الموت..

الدرس الخامس

أخلاق المجاهد

الشجاعة

الشجاعة صفة تتكون في النفس الإنسانية من خلال تدريبها، على اقتحام ما تهاب النفس منه، وهي صفة لا بد أن يحملها المجاهد في سبيل الله تعالى، وهي من الخلفيات الأخلاقية.

إن الشجاعة فرع من فروع الصبر، ولا يكون غير الصبور شجاعاً، ولهذا ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الشجاعة صبر ساعة»[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الحسن عليه السلام وقد سئل عن الشجاعة فقال: «موافقة الأقران والصبر عند الطعان»[2].

كما أن الشجاعة أيضاً فرع من فروع علو الهمة التي تحدثنا عنها في الدرس السابق، إذ أن عالي الهمّة لا يرضى بأن يكون من الخائفين، والباقين في الحفر تهيباً من صعود الجبال، بل تحمله همّته العالية لبلوغ أعلى الدرجات إلى اقتحام

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، الحديث ٩١٥٧.

(٢) ابن شعبة الحراني، الوفاة: ق ٤، تحف العقول، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص ٢٢٦.

الصعاب بكل شجاعة، وإلى هذا المعنى أشارت الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «شجاعة الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حمّيته»[1].

والشجاعة من الصفات التي يحبها الله تعالى في الإنسان المؤمن، وقد أكدت على ذلك العديد من الروايات الشريفة منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «واعلم أن الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات والعقل الكامل عند نزول الشّبهات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حيّة»[2].

القوة

والقوة التي نتحدث عنها ليست قوة البدن، وحجم العضلات، وإنما نتحدث عن قوة أخرى، تجعل الإنسان قادراً على أداء عمله بكماله وتمامه.

وهذا ما وضّحه لنا الإمام الصادق عليه السلام حيث روي عنه أنه قال: «إنّ قوّة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنكم تجدونه ضعيف البدن نحيف الجسم وهو يقوم الليل ويصوم النّهار؟!»[3].

والقوة تنشأ من العمل المستمر والدؤوب، وأما الكسل والتراخي والتملص من أداء المهام، فإن كل هذا يسبب الخمول والضعف لدى الإنسان المجاهد، ولهذا المعنى أشار الإمام علي عليه السلام: «من يعمل يزدد قوّة، من يقصر في العمل يزدد فترة»[4].

وعلى من يشعر بالضعف في نفسه، والعجز فيها عن القيام بالواجب أن يتذكر دائما ان الله تعالى لا يحب المؤمن الضعيف، وأن المؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من الضعفاء، ففي الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. واحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: «لو أني فعلت كان كذا وكذا»، ولكن قل: «قدر

---

(١) غرر الحكم: ٥٧٦٣.

(٢) ابن سلامة، وفاة: ٤٥٤، مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٢، ١٥٢، ١٠٨٠.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه (٣٨١هـ)، جامعة المدرسين، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ: ٣، ٥٦٠، ٤٩٢٤.

(٤) غرر الحكم: ٧٩٩٠ و٧٩٩١.

الله، وما شاء فعل»؛ فإنّ «لو» تفتح عمل الشيطان»[1].

وعليه أن يزرع في قلبه دائماً فكرة أن لا يكون عالة على الآخرين وعبئاً عليهم، فإن عدم قيام المرء بالواجب الملقى عليه هو مخالفة للحكم الشرعي، وهو أيضاً خطيئة أخلاقية بحق العمل والعاملين أيضاً.

الحزم والاستقامة

يقول الله تعالى في محكم كتابه:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

تشير الآية الشريفة إلى مفهومين في غاية الأهمية بالنسبة لكل من يؤدي دوراً إلهياً، والمفهومان هما الحزم، والاستقامة.

فلا يكفي أن يعمل الإنسان على أداء تكليفه بأي طريق كانت بل عليه أولاً ان يكون حازماً في أدائه لهذا التكليف، بمعنى أن لا يقبل بأي شكل من أشكال التباطؤ، أو التراخي في التطبيق. فالحزم في أداء الواجب أمر مطلوب بل أمر إلهي لكل من يقول بالعمل.

فعن الإمام علي عليه السلام : «لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع»[3].

بل إن عاقبة قلة الحزم المهانة في يوم القيامة كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : «إياكم والتّهاون بأمر الله؛ فإن من تهاون بأمر الله أهانه الله يوم القيامة»[4].

---

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت. لبنان: ٤. ٢٠٥٢. ٣٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١١٠.

(٤) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، طهران: ١. ١٨١. ٢٨٦.

والأمر الآخر هو الاستقامة، والاستقامة هي الثبات على النهج، وعدم التزلزل بسبب الظروف الطارئة والتي قد تجعل بعض الناس تنحى منحىً آخر غير الذي تسير فيه، فبعض الناس يسير في نهج سياسي مادام النهج يصب في صلاحه، ولو ظاهراً، ولكن إذا طرأ عليه أمر ما يخالف هواه أو ما يتمناه ينحرف إلى خط آخر يظن أن مطامعه تتحقق فيه، وهذا الشخص هو ما يسميه لنا أهل البيت عليهم السلام بالمتلون، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا أن الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلوّن، فلا تزولوا عن الحق، وولاية أهل الحقّ؛ فإن من استبدل به هلك»[1].

فالاستقامة هي الثبات وهي من صفات المؤمن بالله تعالى، أي المؤمن حقاً بل الاستقامة هي النتيجة التي تتحصل من ثبات الإنسان على مبدئه في المحن والبليّات، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن له قوة في دين ....، وبرٌّ في استقامة»[2].

كما أن للاستقامة أثراً مهما وهو السلامة، وليس المقصود من السلامة سلامة الجسد، بل سلامة النفس من الجنوح لمحل غضب الله تعالى، وسلامتها من السقوط في مستنقع الانحراف، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من لزم الاستقامة لزمته السلامة»[3].

الصدق والأمانة

يقول الله تعالى في وصف المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[4].

صفتان ليستا من صفات المجاهد فحسب بل هما صفتان من صفات أي مؤمن، ولا بد من توفرهما في المجاهد بشكل آكد.

تحتل هاتان الصفتان في سلم الأخلاقيات الإسلامية أعلى المراتب، بل لا يكون المؤمن كاذباً كما في الأحاديث الشريفة.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ١٠، ١٠٥، ١.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢، ٢٣١، ٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٨، ٩١، ٩٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

لقد جعلت الأحاديث الصدق والأمانة ميزاناً من موازين قياس الإيمان، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحجّ والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة»[1].

وفضلاً عن هذا كله فإن الصدق والأمانة، سبيلان إلى وصول أعلى درجات الإيمان والقرب من الله تعالى، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يخبرنا عن حال جده أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: «أنظر ما بلغ به عليّ عليه السلام عند رسول ﷺ فالزمه: فإنَّ علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة»[2].



الشجاعة صفة تتكون في النفس الإنسانية من خلال تدريبها، على اقتحام ما تهاب النفس منه، وهي صفة لا بد أن يحملها المجاهد في سبيل الله تعالى، وهي من الخلفيات الأخلاقية.

كما أن الشجاعة أيضا فرع من فروع علو الهمّة، إذ أن عالي الهمّة لا يرضى بأن يكون من الخائفين، والباقين في الحفر تهيباً من صعود الجبال، بل تحمله همّته العالية لبلوغ أعلى الدرجات إلى اقتحام الصعاب.

والقوة تنشأ من العمل المستمر والدؤوب، وأما الكسل والتراخي والتملّص من أداء المهام، فإن كل هذا يسبب الخمول والضعف لدى الإنسان.

لا يكفي أن يعمل الإنسان على أداء تكليفه بأي طريق كانت بل عليه أولاً أن يكون حازماً في أدائه لهذا التكليف، بمعنى أن لا يقبل بأي شكل من أشكال التباطؤ، أو التراخي في التطبيق.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٥. ١١٤.ح.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢. ١٠٤.ح.

والاستقامة هي الثبات على النهج، وعدم التزلزل بسبب الظروف الطارئة والتي قد تجعل بعض الناس تنحى منحىً آخر غير الذي تسير فيه، فبعض الناس يسير في نهج سياسي مادام النهج يصب في صلاحه، ولو ظاهرا، ولكن إذا طرأ عليه أمر ما يخالف هواه أو ما يتمناه ينحرف إلى خط آخر يظن أن خيره فيه، وهذا الشخص هو ما يسميه لنا أهل البيت عليهم السلام بالمتلون.

إنَّ الصدق والأمانة، سبيلان إلى وصول أعلى درجات الإيمان والقرب من الله تعالى، وجعلت الأحاديث الكثيرة الصدق والأمانة ميزاناً من موازين قياسِ الإيمان.



أسئلة حول الدرس

١ ـ ما المراد من الشجاعة، وما علاقتها بالصبر؟

٢ ـ ما الرابط بين الشجاعة وعلو الهمة؟

٣ ـ ما المراد من الحزم والاستقامة؟

٤ ـ ما محل الصدق والأمانة في الأخلاق؟





للحفظ

رسول الله ﷺ: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحجّ والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة».

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

الإمام الصادق عليه السلام: «أنظر ما بلغ به عليٌّ عليه السلام عند رسول ﷺ فالزمه؛ فإنَّ علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة».



فقه الجهاد



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

س ١٠٨٢: فيما لو توقف الأمر والنهي في الأمور المهمة جداً كحفظ النفس المحترمة على التعدي إلى الضرب الموجب للجرح أو المنتهي إلى القتل أحياناً، فهل يشترط في مثله أيضاً إذن الحاكم؟

ج: إذا كان حفظ النفس المحترمة ومنع وقوع القتل يتوقف على التدخل الفوري والمباشر، فهو جائز، بل واجب شرعاً باعتباره دفاعاً عن النفس المحترمة، ولا يتوقف ثبوتاً على الاستئذان من الحاكم ولا على الحصول على أمر بذلك إلا أن الدفاع عن النفس المحترمة لو توقف على قتل المهاجم، فله صور مختلفة ربما تكون أحكامها متفاوتة[1].





الزهراء (عليها السلام) بشرته بالنصر!

أتمّ صلاة الصبح، تلا دعاءً قصيراً، ثم غلبه النعاس فغفا مرهقاً متعباً، فالأيام الأخيرة كانت شاقّة على المجاهدين في ذلك المحور، فالتحضيرات الميدانية الدقيقة التي تسبق الهجوم النوعي والكبير، جرت بظروف بالغة الخطورة، طائرات التجسس لم تغب عن سماء المنطقة.. الرادارات، الدوريات، القصف والتمشيط، إضافة إلى المهمة الخطرة التي أوكلت إليه بوصفه رامياً ماهراً في سلاح المدفعية، لقد تم كشف المربض وينبغي اختيار مكان آخر يتلاءم مع المهمة

---

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص ٢٣٢، ٢٣٦.

الجديدة وبسرعة، وتحت هذه الظروف والمراقبة الشديدة من اليهود للمنطقة لم يكن بالإمكان سوى أن ينقل المربض إلى مكان مؤقت بانتظار تحديد المكان الجديد للعملية الكبرى كان الهدف موقعاً استراتيجياً للعدو والخطة تقضي باقتحام صاعق ونسف وتدمير يؤرخ لمرحلة نوعية من العمل المقاوم ويسرّع في تقهقر العدو الهارب حديثاً من جزين وتصيب العملاء بالشلل التام!

إذاً، فقد صلى ونام، استراحة محارب، وما كاد يطبق جفنيه حتى رآها... سيدة النور، الزهراء فاطمة عليها السلام، تبشره باطمئنان وسكينة: ستنجح العملية وتحققون نصراً باهراً، أبقِ المربض حيث وضعته بالأمس بشكل مؤقت فهذا مكان ملائم، والنصر سيكون حليفكم! استيقظ مدهوشاً، لم يصدق، تذكر، نعم صدّق وهلل وكبَّر واستبشر، الزهراء عليها السلام تبارك العملية ومهمته و...

لم يمضِ أكثر من يومين، أحسّهما عمراً من الانتظار، انتظار الهجوم الذي تمَّ تكليفه به لجهة الإسناد الناري لتمهيد هجوم المجاهدين ودكّ الموقع ثم تأمين الانسحاب وقصف القوات المساندة، وانتظار بشائر الزهراء عليها السلام ... ترقّب وفرح ممزوج بالحماسة والتوكل والعزم.

جهّز العتاد وأبقى المربض في مكانه، فالزهراء أمرت والمقاوم يلبّي، بدأ الهجوم، قصف، اشتباك تطهير الموقع، ثم انفجار ضخم هزَّ المنطقة كلها، صاعقة عظيمة بل زلزال رهيب.

وهو على مربضه مع مساعده تم طلب الرمي منه لتأمين الانسحاب وتدمير القوى المساندة، كان الطيران قد غطى الأجواء والقصف قريب وغزير، نفذ الأوامر، إصابات دقيقة، ممتاز، كرر.

وما هي إلاَّ دقائق وأغار الطيران على المربض، بكل رهبة وعنجهية رمى الطيران بيركان حقدٍ على المجاهدَين اللذين احتميا في دشمة قريبة، تفقّدا بعضهما، الحمد لله على السلامة، أما هو فكانت طبلة أذنه قد مزّقت من دوي الانفجار ولكن، استمر في مهمته، أدرك أن المربض قد تمَّ تحديده من رادارات العدو، لا بأس سنتابع

العمل، طلَب من على «الجهاز» أن يتكرر الرمي، جهّز نفسه للمواجهة، طلب من مساعده أن يبقى في مكانه وتوجه نحو المربض لوحده تواكبه بشائر الزهراء وروح التحدي والاستشهاد، رمى أهداف العدو بجحيم مدفعيته، عاد الطيران يهدر ويرعد، غارة ثانية قريبة جداً أحرقت الأشجار ولم تبقِ أي ساتر أو تمويه في مكان المربض، للمرة الثالثة جاء الأمر: «كرر الرمي»، بسرعة وبراعة أزاح الركام والحجارة المنتشرة بفعل الصواريخ والقصف عن القذائف وأعاد الرمي، ساخراً من الطائرات التي أغارت مرَّة ثالثة على المربض، ولكن هيهات!

انسحب المجاهدان من المربض بعد إتمام المهمة وتحت وابل من القصف والغارات على نفس الهدف الذي أحرق موقعهم وأعصابهم بصموده ولم يكن عندهما أي شك بأن المربض قد أصيب واحترق.

علم فيما بعد أن مربضه كان أكثر المرابض فعالية ونجاحاً وكذلك أكثرها تعرضاً للغارات والقصف، وعرف جميع المشاركين في الهجوم ومسؤولو المحور بوجود إعجاز وتدخل غيبي آخر، فبعد الهجوم مباشرة تغير الطقس فجأة وهبَّت عواصف رملية عجيبة، ضباب ورياح، سهَّل للمجاهدين انسحابهم وعطَّل أي إمكانية لتأثير الرادارات والطيران...

والهجوم الذي تم التخطيط له لأشهر عديدة وكان معلماً بارزاً ونوعياً، كانت القيادة تحتمل سقوط عدد من الشهداء فيه، لم يستشهد فيه أي مجاهد، إصابات العدو فاقت العشرة قتلى، هزَّت العملية كيان العدو والعملاء، سمع أكثر سكان الشريط دوي الانفجار الهائل، الذي كان إيذاناً ببداية الهروب الكبير للجيش الذي قهرته سواعد المقاومين المؤمنين.

وإلى صاحب القصة نعود.. لم تنته المسألة عند هذا الحد.. بل أن الأعجب كان: بعد أيام من الهجوم تقدم المجاهدون لاستكشاف المنطقة ومعرفة أسلوب العدو في الرماية والتعرف إلى ظروف المعركة أكثر، كانت المفاجأة: المربض الصامد وعلى

الرغم من انكشافه واحتراق المنطقة المحيطة به والغارات الكثيفة، وُجد سالماً لم يصب بأي خدش!..

يتذكر الآن.. تلك المعركة.. يبتسم ويتمتم: السلام عليك يا زهراء.

الدرس السادس

سلوك المجاهد

قول الحق

قول الحق، هي خصلة وصل بها الفضل إلى أن سماها رسول الله الأكرمﷺ أفضل الجهاد، فعنهﷺ: «ألا لا يمنعنّ رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه، ألا إنّ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[1].

فكلمة الحق جهاد بحد ذاتها، وهي صفة تتأتى من خلال قوة القلب والشجاعة، والقناعة التامة واليقين بأحقيتها، فحينها لا يهاب أي شيء من مخلوقات الله تعالى، لا من سلطان ولا جيش ولا حبل مشنقة ولا أي شيء، فما دام أنه على الحق، حينها لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، وكنموذج أرقى لكلمة حق في وجه سلطانٍ جائر نتعرض لما جرى بين أبي الفضل العباسعليه السلام وإخوته وبين الشمر بن ذي الجوشن لعنه الله، حيث كانت الموازين العسكرية مالت لجيش الشمر، وكانت الأمور المنطقية تقتضي أن يكون المنتصر عسكرياً في المعركة جيش عمر ابن سعد، حينها جاء «الشمر حتى وقف على أصحاب الحسينعليه السلام فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه وعليهم

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج١، ص٦٥٦.

السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون. فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!»[١].

ومن المواقف التي ينقلها لنا التاريخ موقف مسلم بن عقيل مع ابن زياد، حيث تقول الرواية: أدخل مسلم بن عقيل رحمه الله تعالى على ابن زياد، وقد ضرب على فمه، فقال: يا بن عقيل أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكن أهل المصر كتبوا أن أباك سفك دماءهم وانتهك أعراضهم فجئنا لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

فقال: وما أنت وذاك، وجرى بينهما كلام حتى قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

فقال له مسلم: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه من سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة[٢].

ومن فضل قول الحق ما ورد في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «ما من صدقة أحب الى الله عز وجل من قول الحق»[٣].

وأكثر ما في ذلك من الأجر ما يكون فيه قول الحق خلافاً لما يناسب حال القائل، كأن يتعرض للاضطهاد ويقال فيه، فكلما كان قول الحق أثقل على الإنسان المؤمن كلما كان الأجر والثواب في قوله أجزل من الله تعالى. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أقرب العباد إلى الله تعالى أقولهم للحقّ وإن كان عليه، وأعملهم بالحقّ وإن كان فيه كرهه»[٤].

بئر لا قرار لها

مثل يقال لمن يكتم السر، فيشبه نفسه ببئر لا يعرف قعرها، وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «صدر العاقل صندوق سرّه»[٥].

---

(١) محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، الإرشاد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج٢، ص ٨٩.

(٢) انساب الأشراف، البلاذري، ص ٨٢.

(٣) شعب الإيمان: ٦ ـ ١٢٥ ـ ٧٦٨٥.

(٤) غرر الحكم: ٣٢٤٢.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ٦.

يعتبر صون الأسرار من الصفات التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها، امّا كتمان السر في الجهاد، فهو صفة أخلاقية أساسيَّة لا بد من وجودها في المجاهد في سبيل الله تعالى.

وكما أن لكتمان السر فضلاً كبيراً، فإن لفضح السر مفسدة كبرى في دين الإنسان ودنياه أيضاً، وأما في الجهاد فإفشاء السر الجهادي من أخطر الأمور على العمل العسكري وقد يؤدي لخسارة أنفسٍ وسفك دماء، وقد أكدت الروايات وشددت على أن يكون السر مصاناً بأقسى درجات الصون فشبِّهت بعض الروايات السر بدم المرء الذي لا يجري إلا من الشريان، وما ذلك إلا تنبيها لخطورة الإفشاء، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «سّرك من دمك فلا يجرينّ من غير أوداجك»[1].

كما أن لافتضاح السر أثراً مدمراً على العمل العسكري الذي يقوم به المجاهدون، لهذا فالكتمان من أهم أسباب نجاح أي عمل عسكري وأي مهمة جهادية. فعن الإمام الجواد عليه السلام: «إظهار الشّيء قبل أن يستحكم مفسدة له»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان»[3].

الإباء

الإباء صفة أخلاقية تعني أن يكون الإنسان عزيز النفس، ولا يبذل منعتها في مقابل أمور تافهة، والإباء غير التكبر، فالتكبر هو أن يمارس الإنسان الترفع على الآخرين ظناً منه بأنه أرفع منهم مقاماً ونفساً، أما الإباء فهو فرع القناعة وغنى النفس عن الحاجة للآخرين، وقد أكدت الكثير من روايات أهل العصمة عليهم السلام على الكثير من الأعمال التي تعزز صفة الإباء في نفس الإنسان، منها عدم تواضعه للأغنياء طمعاً بالمال، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أتى ذا ميسرة فتخشّع له طلب ما في يديه، ذهب ثلث دينه.. ثم قال: ولا تعجل، وليس يكون الرّجل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٥، ٧١، ١٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٥، ٧١، ١٣.

(٣) غرر الحكم: ٢٢٨٤.

ينال من الرجل المرفق فيجله ويوقّره فقد يجب ذلك له عليه، ولكن تراه أنه يريد بتخشعه ما عند الله، أو يريد أن يختله عما في يديه»[1].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله! وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتّكالاً على الله»[2].

وأما في المجاهد، فإن الإباء صفة ملازمة للجهاد، ولولا الإباء الذي فيه ما دفعته نفسه لرفض الهوان، والنهوض لمقارعة المحتل وجهاده، فإباء النفس للإذلال والانتهاك وسيطرة الآخرين على ما يخصها، ويعنيها، هي من المحفزات التي تدفع الإنسان وتوقظه من سباته، مردداً قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[3] فصار على أهبة الاستعداد لبذل الغالي والنفيس في سبيل العزة والكرامة.

وصار مصداقا للآية الكريمة:

﴿... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

هل تخاف غير الله؟

كثيراً ما يكون أهل الجهاد في دروب طويلة قل سالكوها، وكثر بها المتربصون، لكن هل يعني هذا كله أن ينثني عزم أهل الجهاد وأهل الحق.

طالما أنّك على الحق، فلا تبالي، ألم تعلمنا كربلاء، وسيرة أهل البيت عليهم السلام ذلك؟

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٣. ١٦٩ـ ٥.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٠٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وقد نبهنا أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: «... أيها الناس! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فإنّ الناس اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل»[1].

فهذا الخوف الأول، وأما الخوف الآخر من لوم اللائمين، وتثبيط المرجفين، ومن يحمل عقيدة الانهزام قبل بدء المعركة، فهذا ما ينبغي للمجاهد أن لا يعبأ به، بل لا يقيم له أي وزن، فما أكثر المتخلفين عن الجهاد، والذين لا يكتفون بتخلفهم عن أداء وظيفتهم تجاه الأمة، بل يعملون على تحطيم المعنويات في قلوب الآخرين، وقد نبهتنا الروايات إلى عدم المبالاة بلومهم، كما ورد في الخصال عن أبي ذر رحمه الله قال: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أخاف في الله لومة لائم»[2].

وعن الإمام الهادي عليه السلام: «من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق»[3].

ومن أجمل ما في هذه الروايات ما ورد من وصية أمامنا السجاد زين العابدين عليه السلام وقد كتب إليه رجل من أهل الكوفة يستخيره عن خير الدنيا والآخرة، فكتب عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنّ من طلب رضى الله بسخط النّاس كفاه الله أمور النّاس، ومن طلب رضى النّاس بسخط الله وكله الله إلى النّاس، والسلام»[4].

وأخيراً كلمة رويت عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس»[5].

فحينما يضع الإنسان رضى الله بين عينه، ولا يرى في الحياة هدفاً آخر يستحق الالتفات إليه، فحينها سيصل لمقام من لا يخشى في الله لومة لائم، وحينها لو اجتمع العالم بأسره ليلومه، وليقول له أنت إرهابي، وأنت... وأنت...، لن يلتفت إليهم، وسيبقى ما بين عينيه أمرٌ واحد فقط، وفقط، وهو التكليف الشرعي الملقى على عاتقه، وهو الموصل إلى الله تعالى.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٦٧ـ ١٥٨ـ ١.

(٢) الصدوق، الشيخ، الوفاة: ٣٨١، الخصال، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ٣٤٥، ١٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٨ـ ٣٦٦ـ ٢.

(٤) محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، الاختصاص، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ٢٢٥.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة: ٧٧ـ ١٢٦ـ ٢٢.



خلاصة الدرس

قول الحق، هي خصلة وصل بها الفضل إلى أن سماها رسول الله الأكرم ﷺ أفضل الجهاد.

يعتبر صون الأسرار من الصفات التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها، أمَّا كتمان السر في الجهاد، فهو صفة أخلاقية أساسيَّة لا بد من وجودها في المجاهد في سبيل الله تعالى.

فإن لفضح السر مفسدة كبرى في دين الإنسان ودنياه أيضاً، وأما في الجهاد فإفشاء السر الجهادي من أخطر الأمور على العمل العسكري وقد يؤدي لذهاب أنفسٍ بريئة، وقد أكدت الروايات وشددت على أن يكون السر مصاناً بأقسى درجات الصون.

الإباء صفة أخلاقية تعني أن يكون الإنسان عزيز النفس، ولا يبذل منعتها في مقابل أمور تافهة، وهو غير التكبر، فالتكبر هو أن يمارس الإنسان الترفع على الآخرين ظناً منه بأنه أرفع منهم مقاماً ونفساً، أما الإباء فهو فرع القناعة وغنى النفس عن الحاجة للآخرين، وقد أكدت الكثير من روايات أهل العصمة عليهم السلام على الكثير من الأعمال التي تعزز صفة الإباء في نفس الإنسان.

كثيراً ما يكون أهل الجهاد في دروب طويلة قلّ سالكوها، وكثر بها المتربصون، والمحاربون من أهل الجلدة، لكن هذا كله لا ينبغي أن يثني عزم أهل الجهاد وأهل الحق عن أداء التكليف الشرعي.



أسئلة حول الدرس

١ - ما هو أفضل الجهاد؟

٢ - ما هي أهمية الكتمان في العمل العسكري؟

٣ ـ ما الفرق بين التكبر والإباء؟

٤ ـ «لا يخاف لومة لائم» ماذا تعني هذه الكلمة؟



للحفظ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.




فقه الجهاد

من أحكام المجاهدين

❖ ما هو حكم الذين يبعثون في مأمورية في زورق ويحين وقت صلاتهم بحيث لو لم يصلوا في هذا الوقت فلن يتمكنوا من الصلاة بعد ذلك في داخل الوقت؟

.في الفرض المذكور يجب عليهم أن يصلوا داخل الزورق وبأي نحو ممكن لهم[1].




للمطالعة

حين غاب القمر

أرهف السمع... تنفس بعمق وأنصت وكأن الزمن قد توقف، كل حواسه صارت ممتدة لتسمع، حتى دبيب النمل، أرهف السمع ملياً.

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص١١٢.

علّه يسمع ما يوضح له الصورة التي يرسمها التحفز والترقب و...

لماذا توقف الرصاص؟ هل استشهدا؟! هل تمكنا من الانسحاب من هذا الكمين؟ تراكمت الأسئلة في ذهن المقاوم ذي العينين الصغيرتين

حسناً لقد تمكنًا من امتصاص المفاجأة والردّ على الصاعقة بصاعقة مثلها وسط هذا الليل الفاحم، كانوا ثلاثة في مهمة، مسير طويل صامت

لا قمر ولا نجوم ولا ضوء سوى نور بعيد لقرى ومواقع قرب الحدود

المنطقة وعرة والحركة فيها مستحيلة إلاّ لمن اتقن فن تحدي المستحيل

كانوا ثلاثة رجال أشداء، أهل أنس بالحرب والمعارك والتسلل والكمين

يتجهون صوب مهمة دقيقة وخطيرة، ولذا تم اختيارهم بعد طول انتظار ودعاء،

الصمت ثقيل، والرجال يسيرون، الليل أسود والطريق طويل، كله صخور وأشجار قد ألفوها منذ سنين ولكن هذه المرة لم تكن كسواها...

وميض كالبرق ودوي انفجارات ونار، لم يكن مجال للتفكير ولا للكلام، بشكل غريزي خاطف انتشر الرجال بحركة جبارة متقنة وبدؤوا بالرد، كمين لليهود، ينبغي تعطيله وإرباك الجنود الصهاينة ثم محاولة الانسحاب لتقدير الموقف الملائم.

نار، نار ووميض وصراخ عبري، حسناً هاكم الردّ...

بعد رشقات خاطفة وصاعقة التفت جواد أنه قد ابتعد عن رفيقيه اللذين ما زالا يطلقان النار، تارة بقوة وطوراً بشكل طلقات متفرقة، كانت غزارة النار اليهودي تدل على ضخامة الكمين والتحضير، لم يكن هذا ليرهب المقاتلين، استطاع جواد أن يتمركز في موضع ملائم تحسسه برغم الظلام، وعاد ليرمي ويناور محاولاً فك الطوق والاقتصاد في الذخيرة قدر المستطاع والرماية فقط على مصدر الوميض.

شعر جواد بأنه استرد زمام المبادرة، معنوياته عالية ولم يصب حتى الآن وكذلك رفاقه ما زالا يطلقان النار بشكل يؤذي القوة الصهيونية ويكبّدها الخسائر.

استمر هذا الوضع لدقائق خالها جواد دهراً من التحدي والصمود والمعنويات والانتظار، ماذا بعد، جرح... شهادة منتظرة... انتصار على الكمين...

لفَّ الترقب والحذر كيان جواد وهو يتفاجأ بصمت ثقيل، توقف الرصاص من جهة رفيقيه، هل استشهدا؟ هل تمكَّنا من الانسحاب؟ لقد فقد الاتصال بهما، فرر الانتظار في مكمنه.. كانت السماء من جهة الشرق قد بدأت تفك الحداد بأول خيوط أشعة الشمس، والفجر تنفس.

كان يخطط بسرعة ليحسم المعركة، تحول في استعداده ومعنوياته إلى استشهادي ليس له إلاَّ أن يكسر الطوق ويخرج، انتظر كي يحدد اللحظة الملائمة.

سمع كلمات عبرية دقق النظر، جنود ينتشرون على مسافة قريبة، إنهما... هما... رفيقي دربه بالأمس، شهداء اليوم... هاله منظر الجنود يقتربون من الشهداء، كيف يقترب الرجس من الطهارة؟!

انتظر حتى تجمَّع عدد كبير منهم.. وبخطوة حيدرية انقضَّ على الجمع فاتحاً نار جهنم على الصهاينة المذعورين الذين ظنُّوا أن المعركة انتهت لصالحهم، كان يطلق النار بغضب وروح ثائرة، يرمق الشهيدين بطرف خفي، «اللّٰه أكبر»، وبدأ الحساب، لم يتمكن أحد منهم من الرد وللحظات كان الجنود بين قتيل وجريح وهارب مختبى لا يلوي على شيء، كان جواد سيد الموقف بلا منازع، رجل مقابل كمين، مقاتل وشهيدان، يديران دفة المعركة بقبضة جواد وقنابله وصرخاته التي أرعبت اليهود ومزَّقت جمعهم وفرحتهم، للحظات تجول جواد برشاشه وسلَّم على الشهداء، كان الدعم اليهودي قد بدأ يصب ناره، تسلل بسرعة واختفى بين الصخور والأشجار التي احتضنته بعد معركة من معارك المقاومة الإسلامية، غلبت فيها الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن اللّٰه، وكان جواد لوحده، جيشاً مقابل جيش وعملاقاً مقابل أقزام مدججين بالسلاح، بينما كان اللّٰه معه وكان الليل والأشجار والصخور ودعاء أهل الشريط يواكب طلقاته المباركة.

والآن من بقي من رفاق جواد يتذكر من هذه المواجهة والكمين البطولي ويرسلون التحايا والفاتحة لروح جواد الذي استُشهد في معركة أخرى.. وكان هذا الكمين تمهيداً ليفوز بالنصر أولاً ثم بالشهادة الزاكية..

السلام على روح الشهيد جواد «جمال شحيمي» وعلى جهاده الحسيني.

الدرس السابع

عبادة المجاهد

تمهيد

تحدثنا في الدروس السابقة عن الخلفيات الأخلاقية التي ينبغي أن تتوفر في المجاهد في سبيل الله تعالى، وسنتحدث في هذا الدرس عن الوظائف التي ينبغي أن يقوم بها المجاهد على الصعيد الديني، والالتزام بالعبادات الفرديَّة.

وسيكون الحديث عن أداء الواجبات واجتناب الممنوعات، والاحتياط والتقوى بشكل عام، والعبادات المستحبة الأخرى.

الالتزام بالواجبات وترك المحرمات

هو أمر أساسي وأصل لكل الأمور الأخرى، بل لا يمكننا الحديث عن أي من الأمور غير الواجبة قبل أن نحرز أن الشخص ملتزم بالواجبات، إذ «لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض»[1]، كما في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام.

والتهاون في الأمور المستحبة قد يكون أمراً لا يلوم الله تعالى عليه، لأنه في النهاية مستحب، وإن كان لا ينبغي التقصير في هذا الجانب، إلا أن الواجبات هي الخط الأحمر الذي لا يمكن لأي منّا أن يتجاوزه، وفي مضمون هذا الكلام الرواية

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٩.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «خادع نفسك في العبادة، وأرفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة؛ فإنه لا بدّ من قضائها[1] وتعاهدها عند محلّها»[2].

كما أن الالتزام بالواجبات الشرعية ليس بأمر لا تأثير له، بل هو المسبب الأول للتقوى، فالصلاة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصوم يثبت الإخلاص ويعلم الصبر، وإلى هذا المعنى أشار حديث رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس»[3].

ولكن لا يكفي أن يقوم المرء والمجاهد بفعل الواجبات من دون تحقيق أمر آخر، ألا وهو ترك المحرمات والمناهي التي نهى الله تعالى عباده عنها، يقول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

ويقول تعالى في آية أخرى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[5].

وللتذكرة نذكر هنا نقطتين أساسيتين يمكن لنا من خلالهما أن نذكر النفس الغافلة لكي تتباعد عن الذنب والمعصية وارتكاب الحرام:

---

(١) القضاء هنا بمعنى الأداء، وليس المراد به القضاء بعد فوات وقت الفريضة، بل كما تقول قضيت الأمر الفلاني أي أتيت به.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢، ٨٢، ٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

الأولى:

إن الله سبحانه وتعالى لم يزرع الشهوات في النفس ويأمر بالقضاء عليها، وإنما أمر بتوجيهها ووضع الحدود لها، حتى تكون ضمن إطارها المفيد لا المضر، وبالتالي فالسبل أمامنا ليست مغلقة، والحرام ليس هو الشيء الوحيد الذي يمكننا التوسل به، وإنما الأمر بالعكس تماماً فطرق الحلال أرحب، وأرضى لله تعالى. ولهذا المعنى يشير حديث أمير المؤمنين عليه السلام : «ما نهى الله سبحانه عن شيء إلا وأغنى عنه»[1].

الثانية:

إن الأمور المحرمة في الغالب يستقبحها كل ذي عقل وفطرة سليمة، لهذا ترى أن الكثير من غير المتدينين، لا يقربون هذه المحرمات التي يحكم العقل بأنها قبيحة كالكذب والظلم والغيبة وإفشاء السر وسائر القبائح الأخرى، عن أمير المؤمنين عليه السلام : «لو لم ينه الله سبحانه عن محارمه لوجب أن يجتنبها العاقل»[2].

الاحتياط في الشبهات

والاحتياط في الموارد التي فيها شبهة الحرام من الصفات التي يتحلى بها المؤمن المجاهد، فإن من يسعى للوصول إلى الله تعالى، لا بد وأن يبتعد عن كل مورد يشك في أنه سيؤدي به إلى انحراف الوجهة عن الهدف الذي يسعى إليه، وقد أكدت الكثير من الروايات الشريفة على ضرورة الابتعاد عن الشبهات، منها ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «دع ما يريبك الى ما لا يريبك؛ فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[3].

وعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : «أمسك عن طريق إذا خفت ضلالة ؛ فإن الكف عن حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال»[4].

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج١، ص٥٧٩.

(٢) غرر الحكم: ٧٥٩٥.

(٣) تنبيه الخواطر: ١ـ ٥٢.

(٤) ابن شعبة الحراني، الوفاة: ق ٤، تحف العقول، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ٦٩.

فإن في الابتعاد عن هذه الموارد التي يحتمل فيها الضلال أمان لدين المجاهد المؤمن، وعلينا أن نلتفت إلى وسوسة الشيطان وتسويل النفس الأمارة بالسوء وطبيعة الدنيا التي تخفي المساوىء، فإذا أدركنا ذلك بقلوبنا يصبح اجتنابنا للشبهات أمراً يسيراً.

فمن المحتمل أن يكون في مورد الشبهات هلاك المرء أي هلاك دينه، وخسرانه لآخرته، فما أهون الابتعاد أمام احتمال خسران الآخرة، كما ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة»[1].

عمود لا يترك

إن المسألة الأخطر في هذا المقام، مقام الحديث عن أداء الواجبات الشرعية والبعد عن المحرم والشبهات، هي مسألة التهاون بفريضة الصلاة.

فالصلاة التي ملأت آيات القرآن الكريم وكتب الأحاديث التي تتحدث عنها، وعن أهميتها هي العمود الذي لا يترك.

والمقصود من ترك الصلاة هنا التهاون والاستخفاف بقدرها وأدائها فالصلاة:

وجه الدين: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»[2].

والصلاة هي المعيار التي يقاس بها دين المرء فمن استخف بصلاته وأضاعها، فمن الطبيعي أن يكون مهملاً لسائر الواجبات الأخرى، لأن القداسة التي أعطاها الله تعالى للصلاة واعتبارها عمود الدين إن اخترقت كان اختراق سائر الواجبات أمراً سهلاً وعادياً، فعن الإمام علي عليه السلام ـ من كتابه لمحمد بن أبي بكر ـ: «واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك؛ فمن ضيّع الصلاة فإنه لغيرها أضيع»[3].

والصلاة أفضل الأعمال بعد المعرفة:

---

(1) الديلمي، الحسن بن ابي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم: ٣٠١.

(2) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ١ ـ ١٣٣.

(3) محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، الأمالي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ٢٦٧ ـ ٣.

فعن الإمام الصادق عليه السلام ـ لما سئل عن أفضل الأعمال بعد المعرفة ـ: «ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة»(١).

فالمطلوب بالدرجة الأولى منّا أن لا نؤخر الصلاة عن وقتها، فأداء الصلاة في أول الوقت ليس بالأمر العادي، بل هو ميزة وفضل تحلى به الشهداء العظام، وأمرنا به الأئمة عليهم السلام:

عن الإمام علي عليه السلام: «ليس عمل أحب إلى الله عز وجل من الصلاة؛ فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا؛ فإن الله عز وجل ذمّ أقواماً فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(٢) يعني أنهم غافلون استهانوا بأوقاتها»(٣).

التهجد والدعاء

هي ميزة تحلى بها الكثير من الشهداء، حين تغفو عيون الناس، كانت أعينهم تستيقظ، ويكون حديث الدموع والبكاء والعشق الإلهي، يكون السجود والصلاة والمناجاة...

فالأحاديث الكثيرة التي حثّت على السحر وقيام الليل خلقت فيهم عشقاً لساعات لقاء المحبوب، وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين فقال: «أما الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم»(٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله جل جلاله أوحى إلى الدنيا: أتعبي من خدمك واخدمي من رفضك، وإن العبد إذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه أثبت الله النور في قلبه، فإذا قال: يا ربّ، ناداه الجليل جل جلاله: لبيك عبدي سلني أعطك، وتوكّل عليّ أكفك.

ثم يقول جل جلاله للملائكة: ملائكتي، انظروا الى عبدي قد تخلى بي في جوف

(١) محمد بن الحسن، الطوسي، الوفاة: ٤٦٠، الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم: ٦٩٤.١٤٧٨.

(٢) سورة الماعون، الآية: ٥.

(٣) الصدوق، الشيخ، الوفاة: ٣٨١، الخصال، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ٦٢١، ١٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

هذا الليل المظلم، والبطألون لاهون، والغافلون ينامون، اشهدوا أني قد غفرت له»[1].

حزب الله حقاً

ومن كان بهذه الصفة فهو من حزب الله حقاً فعن الإمام علي عليه السلام: «طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون»[2].





خلاصة الدرس

إن الواجبات هي الخط الأحمر الذي لا يمكن لأي منّا أن يتجاوزه، وفي مضمون هذا الكلام الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «خادع نفسك في العبادة، وأرفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلاّ ما كان مكتوباً عليك من الفريضة؛ فإنه لا بدّ من قضائها وتعاهدها عند محلّها».

الاحتياط في الموارد التي فيها شبهة الحرام من الصفات التي يتجلى بها المؤمن المجاهد، فإن من يسعى للوصول إلى الله تعالى، لا بد وأن يبتعد عن كل مورد يشك في انه سيؤدي به إلى انحراف الوجهة عن الهدف الذي يسعى إليه، وقد أكدت الكثير من الروايات الشريفة على ضرورة ذلك.

من الصفات التي تحلى بها الكثير من الشهداء أنهم حين تغفو عيون الناس، كانت أعينهم تستيقظ، لتجلي مع المحبوب في الليل، ويكون حديث الدموع والبكاء والعشق الإلهي، يكون السجود والصلاة والمناجاة.

---

(١) علي، الطبرسي، المطبعة: دار الحديث الطبعة الأولى: ١٤٥٠ـ١٥٠٩.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.






١ ـ من هم حزب الله حقاً؟

٢ ـ ما المقصود من أداء الواجبات؟

٣ ـ هل ترك الشبهات أمر ضروري؟

٤ ـ لماذا نبتعد عن الشبهات؟





﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.





من أحكام المجاهد

❖ هل تصح الصلاة إلى أيّ جهة في حال مانعيّة شدة المعركة في الحرب من تحديد جهة القبلة؟

ـ إذا لم يحصل له الظن بجهة معينة وكان الوقت واسعاً فيجب على الأحوط أن يصلي لأربع جهات وأما إذا لم يتسع الوقت لذلك فيصلي إلى الجهات المحتملة بقدر ما يتسع له الوقت[1].

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص ١٠٦.





ذلك البيت

المهمَّة عادية.. خاصةً لمن تمرَّس التوغُّل جنوباً داخل الأراضي التي تقع خلف الأسلاك... يسير حاملاً بندقيته على كتفه وبحذرٍ يتبع المجموعة التي تهدف إلى نسف ذلك الموقع القابع فوق تلةٍ تشرف على قريته... تلك القرية الساكنة داخل القلب...

كان يسير مندفعاً كأنه يسابق نفسه... نصفه العلوي يتقدَّم على بقية جسده، فالتعب يعيق سرعة قدميه... لقد بدأت رائحة أرضه تذيب أحاسيسه، شيءٌ جميل أن يشم المرء جزءاً من ماضيه.

يرى فيه بيته الصغير وأمه ترش الماء على التراب. إن صور الماضي يراها أمامه هكذا، بل وأكثر كأنه يستعيد منظراً عاشه قبل دقائق وحسب.

انطلق عبر الأسلاك الشائكة... وانزلق بين الحقول في حذر مستمداً من رائحة ترابه شعوراً بقدرة لا تقهر وأصابعه تطبق على سلاحه ... حبس أنفاسه وهو يرقب من خلال الأشجار بيت الطفولة الذي لا يستطيع زيارته إلاَّ عن بُعد وفي الليالي الموحشة...

لقد كان بيتاً جميلاً على ما فيه من تواضع. أما الآن فقد هدم اليهود ناحيةً منه، والناحية الثانية التي تتكي على صخور الجبل قد علاها الغبار وصبغتها ذرات رصاصية من دخان الحريق الذي شبَّ فيه بعد القصف.

إنها المرة الأولى التي يأتي فيها لزيارة قريته بعد أن دخلها اليهود...

وفجأة وبدون أي سابق إنذار سقطت أمامه صورة مدوية مروّعة اجتاحته كالطوفان... قبل ذلك الحادث بأيامٍ عديدة كان يشهد كيف كانت تتساقط القرى شبراً شبراً وكيف كان الرجال يتراجعون شبراً شبراً... ولا زال مشدوداً حتى الآن

إلى دمعة كبيرة في عيني والده الواسعتين تغرس أمام الجميع تساؤلات كثيرة... إلى أين؟ وأرضك لمن تتركها؟ لقد قدَّمت الشيء الكثير لها ولكن هل هذا يكفي؟ لو قدمت روحك ما كفى... بقي ذلك الوالد في هذه البقعة الجميلة... فهو لا يريد أن يفقد ماضيه الحبيب...

وقد عرفه الجميع رجال المقاومة وأطفال القرية واليهود أيضاً وكادوا أن يعهدوا وجهه كجزء لا ينفصل عن القرية كلها... وأصبح أقوى، أكثر هدوءاً... ثائراً، جباراً... ولم يستطع اليهود أن يتحملوه أكثر... فأطلقوا النار عليه... ووصلت جثته إلى البيت مدلاة وينزف من فمه الدم...

انتهت المهمَّة فاتَّكأ بظهره المبتل على صخرة وفرش ساقيه أمامه وبدأ ينظر إلى السماء... كانت غيومٌ داكنة تتسابق وقد توهجت أطرافها بضوء الشمس التي بدأت تبزغ...

هل يمكن أن نعود مرَّة ثانية إلى هنا؟ وفي منتصف النهار وليس كما نعود الآن؟

هل أنت تعِبٌ؟ بحنانٍ انساب صوت صديقه..

هزَّ رأسه نفياً وهمس بصوته العميق المجروح:

زرتُ القرية ولم أستطع الوصول إلى قبر والدي...

الدرس الثامن

المجاهد والمجتمع

تمهيد

بعد أن كان الحديث عن الوظائف العباديَّة للمجاهد في سبيل الله تعالى، وما عليه القيام به من العبادات الفردية، وعن علاقته بالله تعالى، ينبغي لنا الحديث عن الوظائف الإجتماعية للمجاهد.

ونعني بذلك، كيفية علاقته بالناس وما عليه أن يراعيه في العلاقة معهم من الأمور، وهل أن لديه واجباً تجاه الناس، وتجاه الأمة بشكل عام؟

أنت القدوة

يحتل المجاهد في سبيل الله محلاً في قلوب الناس، بمعنى أن الأنظار تتجه إليه دوماً، ويتوقع منه أن يكون في أعلى مراتب الأخلاق والعشرة، فالمجاهد في نظر الناس هو الشخص الملتزم قلباً وقالباً بالحكم الشرعي الإلهي، ولا يتوقع منه في العادة أن يقوم بما ينافي هذا الالتزام.

ولو فرض أن المجاهد قام بما يخالف التزامه الشرعي فإن هذا سيكون له العديد من الآثار، فمن جهة سيقدم نموذجاً ربما يقلده الآخرون، ومن جهة أخرى ستكون مدعاةً لتوهين الخط والحطّ من مقام المجاهدين ومحلهم في قلوب الناس،

فعلى المجاهد دائماً أن يقدم القدوة الحسنة، وليتذكر ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً، كونوا مثل أصحاب علي عليه السلام في الناس إن كان الرجل منهم ليكون في القبيلة فيكون إمامهم ومؤذنهم وصاحب أماناتهم وودائعهم... ولا يسبقوكم «الناس» إلى خير، فأنتم والله أحق منهم به»[1].

الاهتمام بشعب الجهاد

إن الشعب المضحي، والمجتمع المقاوم الذي يتحمل مسؤولية تربية وتخريج المجاهدين ودعمهم يستحق من المجاهد حداً أدنى من الالتزام تجاهه، ولا أقل من الاحترام والالتفات إليه، ومنحه الرعاية اللازمة ولو بالتضامن القلبي معه.

ودعت الكثير من رواياتنا إلى الاهتمام بأمور المسلمين، والحنو عليهم وتقديم الخدمة إليهم، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[2].

كما علّمنا قادتنا في الجهاد أن نخدم الناس بأشفار عيوننا، وكلنا يعلم ما في خدمة المؤمنين من أجر عند الله تعالى، ففي الرواية عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: «دخل عبد الجنّة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين فأماطه عنه»[3].

بل من اللازم أن يحيط المجاهد من يليه من المؤمنين بالحنان الذي يشعرون به بأنه معهم كالجسد الواحد، فما يلقونه يلقاه، وما يعنيهم يعنيه تماماً، تطبيقاً للرواية المروية عن إمامنا أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد؛ إن اشتكى شيئٌ منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[4].

(١) يوسف، البحراني، الحدائق الناضرة، الوفاة: ١١٨٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ج١١، ص ٨٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي الطبعة الثالثة: ٢ ـ ١٦٣ ـ ١.

(٣) الصدوق، الشيخ، الوفاة: ٣٨١، الخصال، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ٣٢ ـ ١١١.

(٤) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي الطبعة الثالثة: ٢ ـ ١٦٦ ـ ٤.

حسن العشرة

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾[1].

تتحدث الآية الشريفة، عن صفات أمر الله تعالى بها وهي صفات اجتماعية لها علاقة بعلاقة الناس ببعضهم البعض، فالإحسان للوالدين وحسن الجوار، والبر باليتامى والمساكين، والإيجابية في التعاطي مع الناس، هذه الصفات التي تعنى بعلاقة المؤمن بمجتمعه تجتمع كلّها تحت صفة أخلاقية واحدة يمكننا أن نسميها حسن العشرة.

والمؤمن المجاهد أولى الناس بالالتزام بهذه الصفات لأنه الأقرب إلى الله تعالى بسبب ما أولاه تعالى من نعمة الجهاد في سبيله، بالإضافة إلى ما ذكرناه من كونه قدوة تستلهم منه الناس النموذج الإلهي الأمثل.

وقد حثت كثير من الروايات والآيات الكريمة على حسن العشرة بين الناس، ومنها ما ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: «ألزم نفسك التودد، وصبّر على مؤونات الناس نفسك، ابذل لصديقك نفسك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرَكَ ومحبَّتك، ولعدوِّك عَدلَكَ وإنصافَكَ، واضنن بدينك وعرضِكَ عن كلِّ أحدٍ، فإنّه أسلم لدينك ودُنياك»[2].

وإن من أهم الخصال التي ينبغي أن لا تترك في أي حالٍ حسن البشر، فخلافاً لما يتوهمه البعض من أن العبوس وتقطيب الجبين فضيلة، فإن أهل البيت عليهم السلام أمرونا بحسن البشر وأن نلقى الناس بالبسمة الصادقة، وأما الحزن فهو في القلب، وهمّ النفس بأمر الآخرة ينبغي أن لا ينعكس عبوساً بوجه الناس، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أحسن ما يألف به الناس قلوب أودائهم، ونفوا به

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٢) الصدوق، الشيخ، الوفاة: ٣٨١، الخصال، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة: ١٤٧ ـ ١٧٨.

الضغن عن قلوب أعدائهم، حسن البشر عند لقائهم، والتفقّد في غيبتهم، والبشاشة بهم عند حضورهم»[1].

فالمجاهد الذي يعيش في جهاده احتمال الانتقال لعالم الشهادة، ما أحسن أن ينتقل لجوار ربه مخلفاً وراءه ذكراً طيباً وأثراً من أخلاقه يتأثر به القريب والبعيد، فكم نتأثر حينما نسمع عن صفات ذاك المجاهد، وأخلاق ذاك الشهيد، ونحاول أن نسعى لنصل لمقاماتهم الأخلاقية التي وصلوا إليها تأثراً بهم، واقتباساً من نهجهم، وجرياً على خطاهم التي بوركت، سارت حباً في طريق الله تعالى، فهم قد حققوا كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام إذ يقول ـ في وصيّته لبنيه عند احتضاره ـ: «يا بنيّ، عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن فقدتم بكوا عليكم»[2]، وهم شركاء في أجر كل عمل صالح تسببوا به.

إعانة المظلوم

أمة الجهاد هي أمةٌ تستحق منا كل الخدمة وكل الإعانة، كيف لا وهي الظهر الحامي والدرع المانع من أن تنال خاصرة المجاهدين بسوء، وهل المجاهدون هم من مجتمع غير مجتمع الصمود الذي ينتمون إليه؟

فلهذا من أهم الواجبات الاجتماعية على المجاهد في سبيل الله تعالى إعانة المظلومين من أمة الجهاد، وأهل الصمود، وقد حثت على هذا المعنى الكثير من الروايات منها ما عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله ـ في ذكر ما خاطب الله تعالى به داود عليه السلام: «يا داود، إنه ليس من عبد يعين مظلوماً أو يمشي معه في مظلمته إلا أثبت قدميه يوم تزل الأقدام»[3].

وإنما من أهداف الدفاع عن الأمة رفع نير الظلم عن هؤلاء الناس، والجهاد في أغلب موارده دفاع عن مصالح المؤمنين وأرضهم وأعراضهم وشرفهم، وأخذ للحق

---

(1) ابن شعبة الحراني، الوفاة: ق 4، تحف العقول، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: 218.

(2) محمد بن الحسن، الطوسي، الوفاة: 460، الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم: 595 ـ 1232.

(3) المتقي الهندي، الوفاة: 975، كنز العمال، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان: 15 ـ 872، 43467.

المغتصب من الظالم لإرجاعه إلى المظلوم، عن رسول الله ﷺ: «من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنّة مصاحباً»[١].

الإحسان للناس جميعاً

ولا يقتصر إعانة الناس على إعانة خصوص المجاهدين والمتدينين فقط، فإن إعانة الناس التي أمرنا بها أهل البيت عليهم السلام هي إعانة لكل الناس ولو انحرفوا في توجهاتهم أو قصّروا في الالتزام الشرعي، والإحسان للناس وعونهم قد يحبب التدين إليهم ويقربهم من النهج الصحيح، ويقدم لهم صورة عن عظمة أخلاق المجاهدين، ولهذا كانت الروايات التي تأمرنا بالإحسان للناس جميعاً، وبدون أي تفريق بين القريب والبعيد والمؤمن والفاسق، والموافق والمخالف، فعن رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كلّ برّ وفاجر»[٢].

ثواب إعانة المتضررين

من يتأمل في الروايات الشريفة التي رويت عن الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، يذهل من عظمة الأجر والثواب على إعانة الناس المظلومة المقهورة، فمن هذه الروايات:

ـ ثقل الميزان بالحسنات :عن رسول الله الأكرم ﷺ: «من قاد ضريراً أربعين خطوة على أرض سهلة، لا يفي بقدر إبرة من جميعه طلاع الأرض ذهباً، فإن كان فيما قاده مهلكة جوّزه عنها وجد ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة أوسع من الدنيا مائة ألف مرّة»[٣].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ٧٥، ٣٥٩، ٧٥.

(٢) الصدوق، الشيخ، الوفاة ٣٨١، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان٢، ٣٥، ٧٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ٧٥، ١٥، ٨،وص٢٠، ١٤.

ـ الفوز بالجنة: عن رسول الله ﷺ: «من ردّ عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار وجبت له الجنّة»[1].

ـ غفران الذنوب: عن الإمام علي عليه السلام: «من ردّ عن المسلمين عادية ماء، أو عادية نار أو عادية عدوٍّ مكابر للمسلمين، غفر الله له ذنبه»[2].




خلاصة الدرس

يحتل المجاهد في سبيل الله محلاً في قلوب الناس، بمعنى أن الأنظار تتجه له دوماً، ويتوقع منه أن يكون في أعلى مراتب الأخلاق والعشرة الحسنة، فالمجاهد في نظر الناس هو الشخص الملتزم قلباً وقالباً بالحكم الشرعي الإلهي.

إن الشعب المضحي، والمجتمع المجاهد يستحق من المجاهد حداً أدنى من الالتزام تجاهه، ولا أقل من الاحترام والالتفات إليه، ومنحه الرعاية اللازمة ولو بالتضامن القلبي معه.

من أهم الواجبات الاجتماعية على المجاهد في سبيل الله تعالى إعانة المظلومين.

من ثواب إعانة المظلوم، الفوز بالجنة، وغفران الذنوب، وثقل الميزان بالحسنات، والفوز بمحبة الله.




أسئلة حول الدرس

١ ـ ما هو موقع المجاهد في قلوب الناس؟

٢ ـ ما هي الأمور الإجتماعية التي ينبغي على المجاهد مرعاتها؟

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٥ ـ ٥٥ ـ ٢.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٥ ـ ٥٥ ـ ٢.

٣ ـ ما هي الآثار السلبية لعدم التزام المجاهد بالحكم الشرعي؟

٤ ـ ما هو ثواب إعانة المظلوم؟




للحفظ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق الى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سروراً».

عن رسول الله الأكرم ﷺ ـ في ذكر ما خاطب الله تعالى به داود عليه السلام : «يا داود، إنه ليس من عبد يعين مظلوماً أو يمشي معه في مظلمته إلا اثبّت قدميه يوم تزل الأقدام».




فقه الجهاد

متى يسقط الوضوء عن المجاهد؟

١ ـ عدم وجود الماء كما لو كان محاصراً في منطقة لا يوجد فيها ماء وصار وقت الصلاة، وبحث عن الماء في الجهات الأربعة المحيطة به ٦٣ متراً من كل جهة ولم يجد، أو لم يكن بإمكانه البحث، وجب عليه التيمم[1].

٢ ـ عدم كفاية الماء كما لو كان الماء لديه يكفيه للشرب فقط ولا يكفي للطهارة فيجب عليه التيمم.

٣ ـ الخوف من الوصول إلى الماء بسبب الخطر الذي يتعرض له لو حاول الوصول إليه[2] كما لو كان الماء واقعاً تحت نيران العدو.

٤ ـ الضرر من استعمال الماء كما لو كان بعينيه رمد أو مصاباً بالجدري أو أي

(١) تحرير الوسيلة، ج١، ص٩١.

(٢) تحرير الوسيلة، ج١، ص ٩٢.

شيء يسبب الأذية من استعمال الماء[1].

٥ـ عدم كفاية الماء لإزالة النجاسة عن البدن ثم الوضوء، فلو كان على جسد المكلف نجاسة والماء لا يكفي إلا لرفعها أو الوضوء دون التطهير، وجب رفع النجاسة بالماء ثم التيمم عوضاً عن الوضوء[2].





قبله الإمام الحسين عليه السلام ـ ١٠.

ظهرت تباشير الفجر وأخذ الرجال يتحرّكون، هذا يتوضأ وهذا يصلي، ودبّت حركة غير طبيعية فيهم فإذا هم بين قائم وقاعد وقارىء للقرآن... ثم أخذت المجموعات تعيد انتظامها وشكلها العسكري واستقرت الأثقال على الظهور والأسلحة على الأكتاف.. وجاء توجيه قائد العملية:

ـ هذه الطريق التي سوف نسلكها خطيرة جداً وتحت مرمى دبابات العدو ونيران مواقعه فعليكم الحذر والهدوء والمسير بشكل عسكري جيد..

ثم تم تقسيم الرجال إلى ثلاث مجموعات على أن تعبر المنطقة الخطرة كل مجموعة على حدة، وفعلاً فقد وصلت المجموعة الأولى بأمان، وجاء دور مجموعتنا الثانية، شرعنا في المسير بحذر شديد وبأقل درجات الضجة وقد ظهر الموقع اليهودي فوقنا تماماً.

وفجأة سمعت ضجيج وقع أحجار الصوان، فقد انهار جدار من الأحجار تحت قدم أحد الإخوان في المقدمة بعد أن زلقت قدمه وسقط، وكان الصوت ملفتاً وكبيراً في منطقة يلفها صمت مطبق إلى درجة تردد فيها صدى الصوت.

(١) تحرير الوسيلة، ج١، ص٩٢، ٩٣.

(٢) تحرير الوسيلة، ج١، ص٩٣.

ولم تمض لحظات إلا وكانت رشقة طويلة من رشاش ثقيل ٧، ١٢ يهودي يمزق المنطقة حولنا فربضنا في أماكننا وقد أخذنا الأرض ولكن قذيفة مسمارية من دبابة الميركافا في الموقع اليهودي أصابتنا في الصميم ... فانتشرنا بسرعة ابتعاداً عن مركز القصف ولكن القصف استمر علينا لمدة نصف ساعة تامة حتى أحصينا لدبابة الميركافا ثلاثين قذيفة وعشرات قذائف الهاون وعدداً لا يحصى من طلقات الرشاش الثقيل، أخذت تتعالى من الجرحى صيحات تردد صداها في أرجاء الوديان والجبال، هذا يهتف «يا حسين» وذلك يصرخ «يا زهراء» وذلك ينادي «يا مهدي».. في اللحظات الأولى استشهد أربعة من الإخوان فوراً بينما كان خمسة يتألمون من شدة الإصابات في أجسامهم وأما أنا فساقيّ كانتا قد انغرزتا بعشرات المسامير الفولاذية.. ولم أعد قادراً على السير.. والموقع اليهودي يستمر في القصف الشديد علينا.. وهنا قررت أن أحاول الاتصال بالمجموعة الثالثة وإحضار الماء للجرحى... زحفت باتجاهها فلم أجد أحداً، وأكملت زحفي... إلى نبع الماء.

استغرق ذهابي وإيابي ساعتين قضيتها زحفاً أو حبواً على يدي وركبتي بين الصخور والأشواك.. وعندما وصلت إلى الإخوة الجرحى وجدت اثنين منهم قد ساءت حالهما فعرضت عليهم الماء فشربوا بنهم حتى ارتووا، ثم رأيتهم يحركون شفاههم ويتمتمون بكلمات شهادة التوحيد والنبوة والإقرار بالإمامة لأهل بيت العصمة، وهم يبتسمون وقد أشرقت وجوههم وأخذوا يفارقون الدنيا واحداً واحداً ويلتحقون بالملأ الأعلى ولم يبق معي إلا ثلاثة منهم، توجهت إلى أولهم لكي أطّلع على حاله فوجدته مغمض العينين وقد أصيب بقذيفة مزّقته، فظننته قد استشهد، فحاولت تغطيته ففتح عينيه وقال لي: أنت؟ وكانت بيننا قرابة ومعرفة سابقة.

قلت له: نعم.

فقال «وهو يدور بحدقة عينيه مفتشاً حوله». أين الإمام الحسين؟.

قلت متعجباً: الإمام الحسين؟

فأجابني مبتسماً. نعم الإمام الحسين. كان هنا عندي قبل قليل!. هل تظن أنني أهذي. إنني ما زلت بكامل قوتي العقلية ووعيي وانتباهي.. هيا! إذهب وانسحب ودعني فإنني لا أستطيع اللحاق بك فقد كتبت لي الشهادة. وتركته وعدت زحفاً إلى الشهيدين.

فقمت، وأنا أحتاج إلى من يسحبني، بسحبهما إلى داخل القرية، وكنت أزحف وأسحبهما معي وأنا بحالة يرثى لها من التعب والإعياء، وبعد عناء طويل وصلنا إلى أول منازل القرية. الغرفة التي كنا فيها، مهجورة شبه مهدّمة وقد فتحت الفجوات في جدرانها بسبب القصف اليهودي.. وخلال عملية سحبه طلب مني الجريح أن أتركه حيث هو وقال «أتركني هنا فإني بعد قليل سوف أفارق الدنيا فلم يبق لي من عافيتي شيء» ولكني أصرّيت على سحبه إلى داخل القرية وما أن وصلنا حتى أوصاني بوصية قصيرة لزوجته وأولاده ثم قرأ شهادته والتحق بالرفيق الأعلى. فلم يبق داخل الغرفة إلا أنا والمجاهد الأخير.

كنت أرجو تضميد جراحاته ومساعدته على المقاومة حتى يبقى حياً، مع أن إصابته كانت بليغة جداً، فقد بترت ساقه من فوق الركبة، وأصيب في بدنه بإصابات متعددة، ونزف كثيراً من دمه ازرقّ لونه. ولولا الأنين الذي يصدر منه من حين إلى آخر لظننت أنه استشهد.

وهبط الظلام في الليلة الأولى فأضاف إلى صعوبة الرؤية بسبب الضباب الكثيف الذي غطى كل شيء صعوبة أخرى...

.. ومضى اليوم الأول واليوم الثاني.. ونحن على هذا الحال: أنا ممدد قد أنهكني التعب والجرح وبجانبي الجريح ممدد بلا حراك، قد ازرقّ لونه ونزف دمه

ومن ساعة إلى أخرى يصدر منه أنين يذكّرني بأنه ما زال حياً.. وأنا أحاول أن أتكلم معه فلا يجيبني. في اليوم الثالث.. وقد تجاوزت الساعة العاشرة ليلاً وقد جلست أنا في زاوية الغرفة أنتظر الفرج أنظر إليه من حين لآخر وبعد أن غفت عيني قليلاً وكنت لم أذق النوم منذ ثلاثة أيام...

أفقت فجأة على صرخة قوية صدرت منه.

جاؤوا، جاؤوا، جاؤوا...

يتبع

الدرس التاسع

الوظائف الثقافية

تمهيد

إلى جانب الوظيفة الجهادية التي يقوم بها المجاهد على ثغور الإسلام والتي تصون الإسلام من الغزو العسكري، وتدافع عن كرامة أهله، هناك وظيفة في الجانب الآخر وهو المجتمع وثقافة أهله، وهو أمر مناط بكل مؤمن وبالمجاهد بشكل أخص، وهي الوظائف الثقافية التي يقوم بها، من الدعوة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

الدعوة إلى القيم

يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

إذا كان الجهاد في سبيل الله تعالى لحفظ الدين وأهله، فإن الدعوة إلى القيم والنهي عن المنكر، من مقومات حفظ الدين عن الإمام علي عليه السلام: «قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) غرر الحكم: ٦٨١٧.

وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصن الداخل «داخل الأمة» من اختراقها من خلال إفساد أفرادها وانحرافهم عن الخط الإلهي.

ولو راجعنا التاريخ لوجدنا أن من أهم أسباب هزائم المسلمين كانت بسبب انحراف المجتمع، إذ كان العدو وقبل أن يغزو أرض الإسلام يحاول أن يفكك لحمة المجتمع التي يقوّيها التدين والالتزام.

فمن هنا على المجاهد في مجتمعه أن يكون ملتزماً بوظيفة الدعوة للقيم، والتي يمكن لنا أن نسميها بالجهاد الثقافي، والنقطة المحورية فيها هي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا يظن المجاهد أن الجهاد بحد ذاته يغنيه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل عليه أن يجمع الفضيلتين في آن معاً ، فعن الإمام علي عليه السلام: «وما أعمال البرّ كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا كنفثة في بحر لجيّ»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : لما سئل عن قول الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً...﴾[2] : «من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»[3].

الدعوة إلى وحدة الكلمة

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[4].

فهذه الأمة هي أمة واحدة يجمعها الإسلام ديناً ومحمد صلى الله عليه وآله نبياً، والقرآن كتاباً سماوياً لم ينله أي تحريف ولا نقصان، والعبادات واحدة، فلمَ نسمح لأعداء الأمة بالتفريق بيننا، من خلال إثارة النعرات المذهبية، بينما كتاب الله تعالى يصرخ

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٢.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة: ٢، ٢١٠، ١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

بين ظهرانينا بالدعوة للتوحد، يقول الله تعالى في محكم قرآنه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

إن الآية الشريفة تتحدث بوضوح لا يقبل التأويل عن التوحد ونبذ الاختلاف بين المسلمين، حيث تدعوهم للاعتصام أي التمسك جميعاً بحبل الله، والاعتصام يكون طلباً للعصمة وهي الحفاظ والغطاء، وهذا يعني أن في ترك هذا الاعتصام الهلاك الحتمي ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

كما أن الله سبحانه وتعالى يمنُّ علينا بنعمة الإسلام هذا الدين الذي يجمعنا جميعاً، رغم اختلافاتنا، في دائرة واحدة، بعد أن كانت تفرقنا القوميات والعشائر والمناطق والشعوب، فحين هدى الله تعالى الناس برسوله الأكرم ﷺ، أخرجهم من ظلام هذه القواقع الفارغة إلى رحابة الإسلام دين الإنسانية والرحمة والسلام، وهذا من أكبر نعم الله تعالى علينا.

وشكر هذه النعمة الكبرى إنما يكون بالاعتصام بهذا الحبل، وعدم توفير الأرضية المناسبة لمخططات الطاغوت المتمثل بالنظام الأمريكي، ونحن نشاهد مخططاتهم وفتنهم التي يزرعونها بين المسلمين.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فإذا تفكّرتم في تفاوت حالهم فالزموا كلّ أمر لزمت العزة به شأنهم «حالهم»، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم: من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

والتحاضّ عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منتهم: من تضاغن القلوب؛ وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي، وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم... فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، وتشتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضار نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين»[1].

اجتذاب الشباب

يقول الإمام الخميني قدس سره: «أولئك الشباب الذين هم حقاً بحسب خطتهم «الأعداء» يجب أن يكون لديهم تلك المفاسد وتلك الأدمغة، تحولوا دفعةً واحدة إلى أدمغة نورانية، إنسانية إسلامية، ولو لم يحصل ذلك لما استطاعت هذه الأمة تحطيم هذه القوة العظمى وهذه القوى الشيطانية».

إن الشباب الناشىء ينبغي أن يحظى من المجاهد بالاهتمام والرعاية، والتركيز على اجتذابه لخط الإيمان والجهاد، وهذا ما أوصانا به أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام يتحدث مع أحد أصحابه: «أتيت البصرة؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟

فقال: والله إنهم لقليل، وقد فعلوا وإن ذلك لقليل.

فقال عليه السلام: عليك بالأحداث؛ فإنهم أسرع إلى كل خير»[2].

وما ذلك إلا لأن قابلية الناشئة والشاب لتلقي الدين والأفكار المستقيمة وهمّته العالية

---

(1) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

(2) الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم١٢٨، ٤٥٠.

يجعلانه أقدر من غيره على أداء المهام الموكلة إليه، بل إن فترة الشباب هي فترة العطاء، لأن الشاب يكون في كامل قوته البدنية، وفي أعلى درجة من الاندفاع والهمة العالية.

يتحدث الإمام الخميني قدس سره عن نماذج من الشباب المؤمن، الشباب المندفع واصفاً حالتهم بالقول: «عندما أشاهد هؤلاء الشباب الأعزاء في عنفوان الشباب الذين يطلبون مني مع البكاء، أنا المقصّر، الدعاء لأجل الشهادة، أيأس من نفسي وأخجل منهم».

خطر ترك المسؤولية الثقافية

إن ترك المسؤولية الثقافية الملقاة على عاتق المؤمن والمجاهد له آثار سلبية في الدنيا والآخرة، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لانتشار الفساد وطغيان أهله، وفساد جيل الشباب، وهو يوجد ثغرة تنادي العدو ليدخل منها بكل يسر وسهولة.

ومما ورد عن الإمام علي عليه السلام من وصيّته للحسنين عليهما السلام، بعد أن ضربه ابن ملجم: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى شعيب النبيّ: إني معذّب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم.

فقال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟!

فأوحى الله سبحانه إليه: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي»[2].




خلاصة الدرس

إلى جانب الوظيفة الجهادية التي يقوم بها المجاهد على ثغور الإسلام، هناك وظيفة في الجانب الآخر تتعلق بالمجتمع وثقافة أهله، وهو أمر مناط بكل مؤمن وبالمجاهد بشكل أخص.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٢) مشكاة الأنوار: ٤٠١، ٢٣٨.

إذا كان الجهاد في سبيل الله تعالى لحفظ الدين وأهله، فإن الدعوة إلى القيم والنهي عن المنكر، من مقومات حفظ الدين.

إن الوحدة بين المسلمين والدعوة إليها تعني الاعتصام بما يجمع ونبذ ما يفرق، وهذا ما ينبغي على المجاهد في سبيل الله تعالى أن يلتفت إليه.

إن الشباب الناشىء ينبغي أن يحظى من المجاهد بالاهتمام والرعاية، والتركيز على اجتذابه لخط الإيمان والجهاد، وهذا ما أوصانا به أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

إن ترك المسؤولية الثقافية الملقاة على عاتق المؤمن والمجاهد له آثار سلبية في الدنيا والآخرة.



أسئلة حول الدرس



١ . ما المقصود بالجهاد الثقافي؟

٢ . هل الدعوة للقيم مهمة ولماذا؟

٣ . لماذا كانت الدعوة لوحدة الكلمة؟

٤ . لماذا كان علينا اجتذاب الشباب؟





للحفظ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فإذا تفكّرتم في تفاوت حالهم فالزموا كلّ أمر لزمت العزة به شأنهم «حالهم»، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم: من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة،

والتحاضّ عليها، والتواصي بها. واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منتهم: من تضاغن القلوب؛ وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي، وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم... فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، وتشتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضار نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين».



فقه الجهاد



من أحكام الجهاد

❖ قد يضطر المجاهد في بعض الحالات الحرجة أن لا يخلع حذاءه وثيابه المتلوثة بالدم ولا سيما حال اشتداد المعركة فهنا لا يجب عليه أن يخلعها بل تصح الصلاة فيهما ولا شيء عليه[1].

❖ قد يضطر بعض المجاهدين إلى التصرف في أموال الآخرين وممتلكاتهم كالنوم في بيت له مالكون ولكنه فارغ، وغير ذلك من الأمثلة فهل يجوز لهم ذلك ومتى؟

يجيب الإمام الخميني(قدس سره) على هذا السؤال بأنه إذا اقتضت ضرورة الدفاع عن الحق مثل هذا التصرف فإنه لا يلزم إجازة المالك[2].

(١) أحكام الإسلام بين السائل والإمام، ص١٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٥.





قبّله الإمام الحسين عليه السلام ٢٠.

أفقت فجأة على صرخة قوية صدرت منه.

جاؤوا، جاؤوا، جاؤوا...

إحتملت أنهم اليهود فتناولت بندقيتي وزحفت صوب الباب، وعند ذلك شعرت بحالة جديدة تنتابني وأخذ جسمي يرتعش، فاقتربت منه وقلت له: من هم الذين جاؤوا؟ فأجابني: إنهم الأئمة عليهم السلام !! إعتقدت أنه يهذي فأردت العودة إلى مكاني ولكنه قال لي: انتظر انتظر.. فوجئت بجوابه، إذن هو واعٍ! جلست إلى جانبه ووضعت يدي على يده فإذا هو يشد عليها بقوة لم أعهدها فيه بعد إصابته.. وهنا كررت عليه عبارة: من هم؟ فقال: الإمام المهدي والإمام الحسين عليهما السلام «اقتربوا.. اقتربوا.. اقتربوا».. قلت: إلى أين؟ أين هم؟. قال: وصلوا إلى الشهيد فلان حضنوه، قبّله الإمام الحسين، وضع خدّه على خدّه.. تركوه.. وجاؤوا إلى الشهيد فلان وحضنوه، قبّله الإمام الحسين، وضع خدّه على خدّه، وتركوه.. وهنا فوجئت بكلامه، فهو لا يعرف أسماء الشهداء ولا أسماء آبائهم بل بعضهم ليس من منطقته أبداً وقد تعرّف عليهم في الليلة التي التقينا فيها ولم يعرف أسماءهم الحقيقية ونحن لا نصرّح بأسمائنا الحقيقية، حتى إذا كنا نعرف بعضنا فإننا لا نتخاطب إلا بالأسماء الرمزية... واستمر يذكر أسماء الشهداء واحداً واحداً، وكيف أن الإمام المهدي والإمام الحسين عليهما السلام يتوجهان إلى الشهيد فيحتضنانه ثم يتركانه ويذهبان إلى الآخر. حتى أتى على ذكر جميع الشهداء.. وعندما انتهى من تعدادهم.. قال: لقد جاؤوا إليّ ليأخذوني.. وخَفَتَ صوته.. ولكنه فاجأني مرة أخرى، فقد رفع ظهره عن الأرض وقعد وجعل ينظر باتجاه الباب وأخذ يردد: يا

زينب جينا نعزّيكِ، يا زينب بالشهيد أخيكِ، يا زينب مظلوم حسيناً، جاؤوا جاؤوا جاؤوا.. نظرت إلى الباب فلم أرَ أحداً وأخذ يردد، فازدادت حيرتي.. ولكنني أقسم بالله العظيم أنني أحسستُ بشيء لم أره ولم ينقصني سوى رؤيته بعيني... وهنا قال: وصلوا ونزلوا عن أحصنتهم، جاؤوا إليّ «وصرخ بأعلى صوته» ها قد جاء الإمام الحسين عليه السلام وهو يقترب مني، كنت أنظر في وجهه وهو يتكلم، فكنت أرى في صفحة وجهه علامات مَنْ يخاطب أحداً أمامه ويتكلم معه فكأنني كنت أسمع حواراً ولكنني كنت لا أسمع الكلام إلا من طرفٍ واحد، وقد كنت متأكداً أنهم أمامه هنا في الغرفة، وذلك بسبب نظرته المحددة إلى مكان محدد أمامنا.. وهنا استعجلت وطلبت منه أن يطلب منهم الشفاعة لي عند الله تعالى وأن يغفر لي الله تعالى، فأجابني: انتظر، انتظر، وبدأ يتكلم معهم، أسمع أنا سؤاله وجوابه ولا أسمع ما يقولون. طلب الشفاعة له ولوالديه ولإخوته ولجميع المجاهدين في المقاومة الإسلامية، فأخذت أكرر عليه أن يطلب الشفاعة لي أيضاً وبخصوصي فقال لهم: إنه يطلب الشفاعة منكم، وسكت برهة ثم قال: يقولون لقد شفعنا لفلان ابن فلانة، وأنا أقسم أني لم أقل له إسمي أبداً ولا حتى اسم والدتي، وقد فاجأني بذكر اسم والدتي مع اسمي، وقطعت حينئذٍ أنهم هنا أمامي.

وأخذ يذكر قضايا كاملة ويحكيها لي عنهم، يخاطبونه فينصت قليلاً ثم يتكلم معي ليفهمني ما يقولون، ثم ينصت ثانية وهكذا، قال: يقولون لي: إن هذا الجيل، «جيل صالح»، لن ينكسر أبداً، لأننا نحن أئمة أهل البيت معكم دائماً، وخصوصاً الإمام المهدي عليه السلام، سوف يمر الإخوة في محنة قوية ولكن النصر سيكون حليفهم بإذن الله بعدها، وسوف يعيشون بعزة وكرامة... وقال: أرسل إلى أهلي وخصوصاً والدتي بأن الإمام الحسين والإمام المهدي قد شفعا لهم وأن الله تعالى قد غفر لهم، هنا فوجئت بطلبه هذا، إذ كيف أرسل لهم وأنا هنا في مثل هذه الحالة، فقلت له: وأنا؟ ماذا أفعل؟ وإلى أين أذهب؟ فسألهم، وأنصت لهم قليلاً ثم قال لي:

يقولون لك إرجع من حيث أتيت!.. لكن لا أعرف الطريق ولا أقدر على السير... يقولون لك إرجع من حيث أتيت. سوف تضيع قليلاً وتضل عن الطريق ولكنك سوف تصل بإذن الله تعالى... ما إن أتمّ كلامه حتى أغمض عينيه فجأةً.. وتلا الشهادتين.. وألقى بظهره على الأرض وفارق الحياة.. فأصغيت الى نَفَسِهِ والى دقّات قلبه. لقد استشهد وهمدت حركته تماماً والتحق بالرفيق الأعلى. كنت أعلم أني بحضرة الإمام الحسين والإمام الحجة سلام الله عليهما. ولكن إتصالي بهما قد انقطع في تلك اللحظة. إلا أنني صمّمت على تنفيذ ما طلباه مني فوضعت بندقيتي على كتفي ونهضت. نعم! نهضت واقفاً. وأنا أنظر إلى نفسي واقفاً مذهولاً. لقد مرّت ثلاثة أيام وأنا لا أتنقّل إلا زحفاً من شدّة الألم في ساقيّ بسبب الشظايا المسمارية التي قطّعت أعصابها بحيث أني لم أكن قادراً على الاعتماد عليهما أبداً. لكنني الآن وقفت، وشعرت فيهما بقوة غريبة. ولم أتردد في مغادرة الغرفة. بعد أن ألقيت على الشهيد النظرة الأخيرة.

أخذت أمشي وأحثّ السير في الإتجاه الذي أتينا منه وأعتقد أنه هو الإتجاه الصحيح. رغم الظلام والمطر والضباب... لقد كانت هناك قوة غير طبيعية تساعدني على السير الحثيث وصعود المرتفعات وهبوط المنزلقات الخطرة وعبور الماء. وكنت كأنني مسيّر فقد السيطرة على نفسه. تورّمت قدماي من كثرة المسير فلم تعد تقوى على السير أضف إلى آلام الجراح وإلى الثلج الذي أصبح جليداً فلم يعد السير عليهم ممكناً. وأصبحت كل حركة تعني الإنزلاق على الجليد. ولكني كنت أعتمد على بندقيتي فأضربها في الأرض حتى أثبت مكاني وأمنع نفسي من الإنزلاق... وصلت الى طريق معبّدة فأخذت أحثّ السير إلى أن ظهرت بيوت. وما أن وصلت إليها حتى أبصرت شخصين على شرفة منزل فيها يتحادثان ثم رأيت أحدهما يشير إليّ. وهنا انهارت قواي وسقط على الأرض.. وكأن تلك القوة المستعارة ببركة أهل البيت عليهم السلام والتي حملتني

وعبرت بي الجبال والوديان من يوم الأربعاء مساءً إلى يوم الجمعة عصراً قد نفدت... سقطت أرضاً من شدة الألم في ساقيّ الجريحتين، وعادت آلامي كما كنت حين أصابتني الميركافا، فأغمي عليّ ولم أحسّ بشيء مما يجري حولي.. وفتحت عيني في المستشفى.

الدرس العاشر

الحقوق بين القائد والمجاهد

تمهيد

لا بد من صفات عسكرية يحملها المجاهد في سبيل الله ، صفات نابعة من صميم عمله ولها علاقة مباشرة بأموره الجهادية، فبعد أن فرغنا من الحديث عن الوظائف العامة للمجاهد على الصعيد الديني والخلقي والثقافي والاجتماعي، بقي علينا أن نتحدث عن الوظائف والصفات العسكرية وهذا ما سنضيء عليه بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى.

يلخص أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقوق في إحدى خطبه حيث يقول عليه السلام:

«أيها الناس! إن لي عليكُمْ حقًّا، ولكم عليَّ حقّ: فأما حقكم علي فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم»[1].

وسنتعرض لما ورد في هذه الخطبة بشيء من التفصيل، فهي قد أشارت لمجمل الحقوق، ويكفي لنا لكي ندرك الحقوق هذه أن ندقق في هذه الرواية الجامعة المهمة.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٤.

حق المجاهد على القائد

تشير الرواية إلى حقوقٍ أساسية للمجاهد على القائد ليقوم بها، أهمها:

توجيه المجاهد وتعليمه

بمعنى أن يرشده لمواطن الخير، وما فيه صلاح أمره، وتوجيهه أيضاً يتضمن توضيح مهامه التي ينبغي أن يقوم بها بشكل لا يترك له سؤالاً في موضع حيرة يقع فيها، وهي مسائل قد تكون ذات صلة بتأدية العمل على أكمل وجه بأقل خسائر ممكنة، ويتضمن مسألة التدريب العسكري وتأهيل المجاهد ليكون في أعلى مستويات الجهوزية، وهذا ما دأب عليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول ابن عباس: «عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها، كأن عينيه سراجاً سليط، وهو يقف على شرذمة يحضهم، حتى أنتهى إليّ وأنا في كنف من الناس فقال: «معاشر المسلمين استشعروا الخشية، وغضوا الأصوات، وتجلببوا السّكينة، وأعملوا الأسنّة، وأقلقوا السيوف قبل السلة، وأطعنوا الشزر[1]، ونفحوا بالظبا[2]، وصلوا السيوف بالخطا[3]، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله ومع ابن عم نبيه صلى الله عليه وآله.

عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنه عار باق في الأعقاب والأعناق، ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً[4]، وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرّواق المطنب، فاضربوا ثبجه[5]؛ فإن الشيطان راكب صعبة، ومفرش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى يتجلى لكم عمود الدين﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[6]».

---

(١) الشزر بالفتح الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً.

(٢) نفحوا كافحوا وضاربوا، والظبا بالضم جمع ظبة طرف السيف وحده.

(٣) صلوا من الوصل أي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم.

(٤) سجحاً أي سهلاً.

(٥) ثبجه أي وسطه.

(٦) سورة محمد، الآية: ٣٥.

وهذا من رعاية الإمام لجنده إذ يحضرهم معنوياً ويعلمهم طرق القتال وأصلحها وأكثرها فاعلية في ذلك الزمان.

ومن الروايات التي تظهر شدة حرص الإمام على القدرات العسكرية لجنده هذه الرواية التي يشير فيها إلى أدق تفاصيل القتال في عصره سلام الله عليه حيث يقول عليه السلام: «عضوا على النواجذ؛ فإنه أنبى للسيوف عن الهام وأكملوا اللامة»[1].

حيث فسر كلامه عليه السلام وقوله عضوا على النواجذ والنواجذ جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس. ولكل إنسان أربعة نواجذ، ويسمى الناجذ ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ. ومراده عليه السلام وإذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف فكان أنبى عنها وأبعد عن التأثير فيها. والهام جمع هامة وهي الرأس.

والمراد من قوله عليه السلام وأكملوا اللامة وهي الدرع، وإكمالها أن يزاد عليها البيضة «وهي ما يوضع الرأس وتسمى بالخوذة هذه الأيام» والسواعد ونحوها، وقد يراد من اللامة آلات الحرب والدفاع واستيفاؤها.

فخلاصة الأمر أن الإمام عليه السلام يوصي أصحابه بأمور هي من صميم العمل العسكري و هي تمس حماية وفعالية المقاتل بشكل مباشر.

العطف على الجند وتكريمهم

فتكريم المجاهد ومن قدّم انجازاً كبيراً وتحفيز المجاهدين بالثناء على جهادهم وعظمة ما يقومون به يخلق في أنفسهم دافعاً كبيراً لتقديم الأكثر والحفاظ على القدرات، ويبقي الهمم في أعلى درجاتها، كما أن في ذكر ما أبدى أهل الشجاعة منهم تشجيعاً لمن يطرق الخوف قلبه، وتحفيزاً له على التجرؤ للقتال، ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام من عهده للأشتر رضي الله عنه: «وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته... فافسح في آمالهم، وواصل في حسن

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٩٦.

الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم: فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع، وتحرّض الناكل إن شاء الله»[1].

حق القائد على المجاهد

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أطع من فوقك يطعك من دونك، وأصلح سريرتك يصلح الله علانيتك»[2].

تشير الرواية الشريفة إلى منهج التعاطي بين القائد والمنقاد أي بين المسؤول والمسؤول عنه، وهي الطاعة، وهي الحق الأول والأهم على المجاهد تجاه قائده.

واستشارة الجنود والاستماع لنصائحهم لا يعني بالضرورة الالتزام بآرائهم، بل للقائد اختيار ما يراه مناسباً، وعليهم الالتزام. وهذا ما أشار له أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن عباس، وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه: «لك أن تشير عليّ وأرى، فإن عصيتك فأطعني»[3].

وطاعة المجاهد للقائد في الشريعة أمر واجبٌ، وأمر القائد أمر لعناصرهِ ليس نصيحة يمكن للمجاهد أن يقبلها أو لا، بل هي تكليف شرعي كما أي تكليف شرعي آخر يثاب المرء على أدائه ويعصي بتركه أو التهاون فيه...

ولترك التكليف هذا آثار على الصعيد الدنيوي، فلا يستقيم العمل ولا ينتظم إذا عمل كل فرد فيه على ما يهواه، بل التراتبية في الأعمال شرط لنجاح أي عمل في الحياة فكيف إذا كان العمل جهاداً في سبيل الله تعالى، وفيه تحمل لمسؤوليات الدماء، وأمانة على أرواح الآخرين.

وهذا ما أشار له أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«... ولي عليكم الطّاعة، وألا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات الى الحق، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) غرر الحكم: ٢٤٧٥.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢١، الكتاب ١٢.

عليّ ممن اعوجّ منكم ثم أعظِّمَ له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم»[1].

الخلاصة هي الانضباط التام

إن الالتزام التام بأمر القيادة هي استجابة لله أولاً ولما أوصانا به الدين الحنيف، وهي سبب أول وأساسي لنجاح أي عمل، عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم»[2].

والانضباط يكون بعدم التهاون في الأمور وعدم الاستعجال بها في غير أوقاتها، وهذا ما أوضحه الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: «وأمضِ لكل يوم عمله؛ فإن لكل يوم ما فيه... وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل أمر موقعه»[3].





خلاصة الدرس

حق المجاهد على القائد:

١. توجيه المجاهد وتعليمه:

بمعنى أن يرشده لمواطن الخير، وما فيه صلاح أمره، وتوجيهه أيضاً يتضمن توضيح مهامه التي ينبغي أن يقوم بها بشكل لا يترك له سؤالاً في موضع حيرة يقع فيها، ويتضمن مسألة التدريب العسكري وتأهيل المجاهد ليكون في أعلى مستويات الجهوزية.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٤٧.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

٢. العطف على الجند وتكريمهم:

فتكريم المجاهد ومن قدم انجازاً كبيراً وتحفيز المجاهدين بالثناء على جهادهم وعظمة ما يقومون به يخلق في أنفسهم دافعاً كبيراً لتقديم الأكثر والحفاظ على القدرات، ويبقي الهمم في أعلى درجاتها، كما أن في ذكر ما أبدى أهل الشجاعة منهم تشجيعاً لمن يطرق الخوف قلبه، وتحفيزاً له على التجرؤ للقتال.

حق القائد على المجاهد:

الحق الأول والأهم على المجاهد تجاه القائد هو الطاعة.

والانضباط يكون بعدم التهاون في الأمور وعدم الاستعجال بها قبل أوانها.



أسئلة حول الدرس



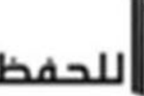
١. ما هو حق المجاهد على القائد؟

٢. ما هو حق القائد على المجاهد؟

٣. هل أمر القيادة كالنصيحة؟

٤. من أين يستمد القائد شرعية حكمه؟







للحفظ

عن الإمام علي عليه السلام: «أيها الناس! إن لي عليكُمْ حقّاً، ولكم عليَّ حقٌّ: فأما حقكم عليَّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم».



فقه الجهاد



من أحكام الجهاد:

❖ هل يجوز الفرار من المعركة بحال من الأحوال؟

❖ لا يجوز الفرار من المعركة في أي صورة من الصور[1] ومهما حصل فإن البقاء في المعركة أمر واجب كما أن الفرار من الزحف عده العلماء من الكبائر.



للمطالعة



إبراهيم عليه السلام والتوكل على الله

أمر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة عند نهر كوثا من قرية قطنانا وأوقد النار، فعجزوا عن رمي إبراهيم، فعمل لهم إبليس المنجنيق فرمي به، فتلقاه جبرائيل في الهواء فقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا! حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله ميكائيل فقال: إن أردت أخمدت النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي؟ فقال: لا أريد! وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار؟ قال: لا أريد! فقال جبرائيل: فاسأل الله، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وفي رواية أخرى قال جبرائيل: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم، فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، ألجأت ظهري إلى الله، أسندت أمري إلى الله، وفوضت أمري إلى الله، فأوحى الله إلى النار كوني برداً وسلاماً.

فتأمل في هذا التوكل الذي كان يتحلى به نبينا إبراهيم عليه السلام في أحلك

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٤.

الساعات وأشد اللحظات وهو متجه نحو زنار من النار يقال أن الإقتراب منها كان يكلّف الإنسان حياته لشدة قوتها وتوهجها، ولذلك رموه إليها من بعيد بالمنجنيق.

نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا هذا اليقين والتوكل الكبير حتى نستشعر بالرضا والتسليم في كل ما نتلقاه من مصائب الدهر ونوب الزمان وحينئذٍ فلا شيء على وجه الأرض يخيفنا سوى غضب اللّه وناره...

الدرس الحادي العاشر

الشهادة

معنى الشهادة

تترد كلمة الشهادة على ألسنتنا بشكل متكرر كل يوم، وقد لا يعرف الكثير منا ما هو المعنى الحقيقي لكلمة الشهادة، ولماذا سمي الشهيد شهيداً؟

وأما الجواب على هذا السؤال المهم، فنذكر هنا أسباباً عديدة ذكرها العلماء لعلة تسمية الشهيد بالشهيد منها:

١ ـ لقيامة بشهادة الحق على جهة الإخلاص وإقراره به، ودعائه إليه، حتى قتل، بمعنى أنه قتل في سبيل أن يعلو الحق فيشهده الناس.

٢ ـ سمي شهيداً، لأنه من شهداء الآخرة على الناس، وإنما يستشهدهم الله بفضلهم وشرفهم[1].

٣ ـ سمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة.

٤ ـ سموا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي(ص) على الأمم الخالية[2].

٥ ـ سمي الشهيد شهيداً لأن روحه شهدت دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

---

(١) ورد هذان المعنيان في تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج٣، ص١٢٦.

(٢) ورد هذان المعنيان في لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص ٢٤٢.

٦ . سمي بذلك لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.

٧ . سمي شهيداً لأنه أشهد عند خروج روحه ما له من الثواب والكرامة.

٨ . لأنه يشهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله.

٩ . لأن عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً وهو دمه[1].

ولعل لكل هذه الأسباب مجتمعة سمّي الشهيد شهيداً ولأسباب قد خفيت عنا، وأما الشهادة في دلالتها فهي أن يقتل المرء في سبيل الله.

هل الشهادة مطلوبة لنفسها؟

لعل البعض من الناس يظن، أن الشهادة مطلوبة بحد ذاتها أي لكونها إنهاء لحياة الإنسان بحسب ظاهرها، إلا أن الشهادة لا تطلب لذاتها، بل تطلب لأنها من الطرق المؤدية لرضا الله تعالى.

فالمجاهد في سبيل الله تعالى لم يخرج من حياة الدعة التي يعيشها ليقضي أيامه على الثغور وفي المعارك طالباً للهناء والراحة هناك ولأن الراحة ليست فيما يطلبه بل هي بين أهله وأطفاله وعياله، بينما يقاسي من الصعاب والأذى في مواطن الجهاد لأجل قضية يحملها، هذه القضية المحقة هي التي دعته، طلباً لرضا الله تعالى، أن يترك كل الدنيا ويحشر نفسه في هذه الصعاب، والتي قد تكون في آخرتها الشهادة.

الشهادة التي تترك آثاراً في المجتمع، وهي التي قد تكون مناراً للأمة، وبدمائه يكتب في سجل الكرامات ما معنى التضحية من أجل مبدأ وقضية.

إذاً الشهادة ليست طلباً للموت والفناء كاليائس من الحياة.

هل الشهادة تنافي ثقافة الحياة؟

يحاول البعض النيل من أهل الجهاد بترديد شعار نحن نريد الحياة والعيش بسلام، ويعرّضون بالجهاد وأهله وأن الشهادة وطلبها هي ثقافة موت.

ولو دققنا قليلاً في فلسفة الشهادة ومعناها الحقيقي وآثارها في الأمة، لعرفنا

(١) المعاني الخمسة الأخيرة من كتاب فطرة الناس على معرفة الله وتوحيده ◆، مركز المصطفى ﷺ.

أن الشهادة في سبيل الله تعالى وثقافة الشهادة هي ثقافة الحياة السعيدة.

وما ذلك إلا لأننا نؤمن بالغيب كما أمرنا الله تعالى حيث يقول في كتابه: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**[1].

وإيماننا بالغيب يعلمنا أن الحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية وليست الحياة الدنيوية **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[2].

فالحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية وليست الحياة العابرة التي هي ممر لنا لنحمل منها العمل الصالح للآخرة، وأهم الأعمال التي توصلنا لتلك الحياة هي الشهادة، والموت بكرامة، لأن من يموت رفضاً للظلم وفي سبيل رفعه عن رأس أمته هو الشهيد، كما يقول إمامنا الحسين عليه السلام في مسيره إلى كربلاء: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»[3].

ولهذا فالشهيد هو الحي الحقيقي لأنه وصل لتلك الحياة الخالدة الباقية التي فيها من النعيم المقيم ما فيها ولهذا منعنا الله تعالى من أن نقول للشهيد ميتاً حيث يقول: **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[4].

فمن يسير على الدرب التي رسمها الشهيد يشعر تماماً بمعنى الحياة الحقيقية، وبمقدار تفاهة أعوام تمضي على الإنسان كلمح للبصر قد يقضيها ذليلاً خانعاً تابعاً أو عبداً مأموراً عند أناس ترأسوا في الحياة ظاهراً وهم في واقعهم قد استعبدهم إبليس وارتهنتهم أنفسهم الأمارة بالسوء.

هذه إذاً ثقافة الحياة الحقيقية، أما ثقافة الموت، فهي ثقافة موت القلوب بغرقها في تفاهات الحياة وشهواتها وقشورها، التي تخرج الإنسان من إنسانيته ليصبح كالبهيمة التي همها علفها ومرعاها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

فضل الشهيد عند الله تعالى

هذا كله على مستوى الفرد، وأما على مستوى المجتمع فلا شك أن المجتمع الخانع الذليل هو مجتمع ميت لا هوية ولا شخصية حقيقية له، وليس إلا ساحة يعربد عليها كل طامع ومحتل، وأما مجتمع المجاهدين والشهداء فهو مجتمع ينبض بالحياة والكرامة والعزة، له هويته وحضوره، ويملك أرضه ويحقق مصالحه.

إن قطرة الدماء تلك ربما تكون قطرة من جهة الحجم، ولكنها ليست كباقي القطرات، إنها تختصر كل شيء، إنها التوحيد الحقيقي الذي نطق به لسان العمل مع كل ما يتفرع عنه، هي إثبات الإخلاص حيث يرفع الإنسان يديه عن كل شيء ليتوجه نحو خالق كل شيء، هي تكبيرة الإحرام العملية التي يرفع فيها المؤمن يده تعبيراً عن نفض يديه من كل شيء، من الدنيا وما فيها من مال وجاه وفتن ويتوجه إلى الحق سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر»[2].

لعل تلك القطرة حصلت في شهادة حصلت في لحظة من الزمن، ولكنها لحظة أشرف من سنين طويلة، وكأنها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تتنزل فيها الملائكة لتبشر الشهيد وتحتضنه وترفعه إلى جوار الأنبياء والأولياء والشهداء، ترفعه إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!

الشهادة هي لقاء الله

إن لقاء الله سبحانه وتعالى هو حلم الأنبياء وأمنية الأولياء والشهداء، كل أمر يصبح بمقارنتها أمراً تافهاً وصغيراً ولا قيمة له، هذه الأمنية هي من أهم الأمور التي يحصل عليها الشهيد بالإضافة إلى مجاورة الأنبياء والشهداء، لذلك نجد الآية الكريمة تؤكد على اللقاء الذي سيتفرع عنه كل رزق ونعمة ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٢.

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

مقام الشهيد في الجنة:

في رواية عن النبي الأكرم ﷺ: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء[2]، غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيُقتل عشر مرات، لما يرى من كرامة الله»[3].

وتتحدث الرواية عن رسول الله ﷺ عن الشهادة وبركاتها على الإنسان: «للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يكسى من كسوة الجنة، والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه، والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنها لراحة لكل نبي وشهيد»[4].





خلاصة الدرس

إن لإطلاق اسم الشهيد العديد من المناسبات، منها أنه من شهداء الآخرة على الناس، ولأن الله وملائكته شهود له بالجنة...

لو نظرنا لفلسفة الشهادة ومعناها الحقيقي وآثارها في الأمة، لعرفنا أن الشهادة في سبيل الله تعالى وثقافة الشهادة هي ثقافة الحياة الحقيقية والسعيدة.

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ ، ١٧٠.

(2) يعني لا يحب الرجوع ولو أعطي كل ما على الأرض.

(3) الطبرسي، المحقق النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ج١١، ص ١٣.

(4) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.ق، ج١٥، ص١٦.

أما ثقافة الموت، فهي ثقافة موت القلوب بغرقها في تفاهات الحياة وشهواتها وقشورها، التي تخرج الإنسان من إنسانيته ليصبح كالبهيمة التي همُّها علفها ومرعاها.




أسئلة حول الدرس

١. لماذا سمي الشهيد شهيداً؟
٢. ما هي ثقافة الموت؟
٣. ما هي ثقافة الحياة؟
٤. ما هو فضل الشهيد؟



للحفظ

عن الرسول الأكرم ﷺ: «للشهيد سبع خصال من الله: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه، وتقولان: مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة يكسى من كسوة الجنة، والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه، والخامسة أن يرى منزله، والسادسة يقال لروحه: اسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة أن ينظر في وجه الله وإنها لراحة لكل نبي وشهيد».




فقه الجهاد

من أحكام الشهيد:

❖ أنه لا يغسل ولا يكفن بل يدفن بدمائه وهذا الحكم فيما لو كان في معركة

الحق ضد الباطل ولم يدركه أحد الموجودين في المعركة حياً أما لو أدركه أحد حياً فإنه يجب أن يغسل ويكفن، يقول الإمام الخامنئي: لو كانت تلك المحاور وتلك المنطقة معركة الحرب بين الفرقة المحقة وبين الفئة الباطلة الباغية كان لمن استشهد من الفرقة المحقة فيها حكم الشهيد[1].

ويقول أيضاً: حكم عدم وجوب التغسيل والتكفين يختص بالشهيد الذي قتل في معركة الحرب[2].





دشمة السيد عباس

من ضمن زياراتي لمحاور المقاومة الاسلامية، وفي اللحظات التي كنت أدخل فيها إلى منطقة عملهم كانت طائرات العدو تحلّق بكثافة فوقنا، فسارع مرافقتي إلى الإشارة إليّ بأن ألتجيء إلى أجمة حتى لا تراني طائرات العدو اليهودي، ولم نمكث طويلاً حتى أطل آمر الموقع يطمئن علينا، وبعد حوار قصير أصدر أوامره إلينا بضرورة الإلتجاء إلى الدشمة القريبة، دشمة السيد عباس.

فوجئتُ بالتسمية ولم يخامرني شك في أن السيد عباس قد جاء إلى هنا خلال مراحل حياته الجهادية العظيمة حيث كان من حين إلى آخر يأتي إلى محاور المقاومة فيعيش مع المجاهدين يستمع إليهم ويستمعون إليه، ولا شك أنه إما أن يكون جلس في هذه الدشمة أو صلى فيها أو شارك في بنائها، ولم أتردد في النطق بهذه الاحتمالات.

- هل جاء السيد عباس إلى هنا وشارك في بنائها.

- كلا.

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، طبعة الدار الإسلامية، ج١، ص٧١.

(٢) المصدر السابق.

- ماذا؟ إذن هو قد صلى فيها أو جلس فيها مع المقاومين؟!.
- كلا أيضاً. فالسيد الشهيد لم يأت إلى هذه القاعدة مطلقاً!.
- إذن كيف هي دشمة السيد عباس؟!

القصة أنَّ أحد الإخوة المقاومين من أفراد القاعدة مرّ بقرب الدشمة في إحدى الليالي فسمع صوت دعاء ينبعث من داخلها، وكان الصوت رحيماً حزيناً وعندما أصغى إليه وجد أنه صوت السيد عباس الموسوي الذي يعرفه جيداً. ولكنه لم يكن ينتظر وجود السيد عباس في الدشمة فالسيد كان قد استشهد منذ مدة.

كذلك لم يكن فيها غيره، خصوصاً أنه دخل إليها حينئذٍ فوجدها خالية، ولكن الصوت كان قد اختفى.

وحتى لا يكون الصوت وهماً وخيالاً، سمعه في اليوم الثاني وأصغى إليه، وأخبر إخوانه بذلك، فسمّوها دشمة السيد عباس.

وقد كانت هذه القاعدة هي القاعدة الوحيدة التي لم يزرها السيد الشهيد في حياته، ولعل في ذلك تفسير لمجيئه إليها بعد شهادته.

الدرس الثاني العاشر

كيف تكون شهيدا

كيف تتجهز للشهادة؟

سؤال في غاية الأهمية، لأن الشهادة هي انتقال لعالم آخر، فهل ينتقل الإنسان إليه بدون أن يكون قد جهز نفسه له؟

إذاً لا بد من أمور يحصّلها الإنسان قبل أن ينتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية ومنها:

أ. الاستعداد النفسي بتصفية القلب:

أي أن يحافظ الإنسان على نور الإيمان في قلبه بالابتعاد عمّا يسوّد القلب من الآثام، وهذا ما ينير درب الآخرة أمامه، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى **﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾**[1]: «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح، قالوا: يا رسول الله! فهل لذلك علامة يعرف بها؟، قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[2].

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٢ .

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١١٢٢.

ب. عدم الغفلة:

والمراد بالغفلة الاستغراق في التفكر بالدنيا والاهتمام لأجلها، فكثيراً ما يصير الإنسان بحالة لا يفكر بها سوى بما يعني دنياه، فينسى الآخرة ولقاء الله تعالى، وإلى هذا يشير أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر المنسوب إليه، والذي يخاطب به الإمام الحسن عليه السلام قائلاً:

أبـنـي إن مـن الـرجـال بـهـيـمـة
في صورة الرجـل السـمـيـع المبصـرِ
فـطـنٌ لـكـلّ رزيّـةٍ في مـالـه
وإذا أصـيـبَ بـديـنـه لم يشـعُـرِ

وقد ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «استعدوا للموت فقد أظلكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا... وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به... نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة»[1].

وعنه عليه السلام: «إياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق عن ربك في طلب الدنيا»[2].

ج. التجهز بالعمل الصالح:

فعن الإمام علي عليه السلام: «إنك لن يغني عنك بعد الموت إلا صالح عمل قدمته، فتزود من صالح العمل»[3].

فما ينتظر المرء المنتقل لذلك العالم، والذي يرتبط مصيره هناك بعمله في دار الدنيا؟ إن احتمال الخسران يحفّز الإنسان على أن يصحّح أمر دينه في هذا العالم تحسّباً من الوقوع في ذلك الخسران. فعن الإمام علي عليه السلام: «إنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة»[4].

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٤، ص٢٩٦٦.
(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٤، ص٢٩٦٦.
(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٤، ص٢٩٦٨.
(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٤، ص٢٩٦٧.

د. أداء الحقوق:

إن الحقوق على قسمين، حق الله وحق النّاس، فأما حق الله تعالى فهو العبادات التي ينبغي على المرء أن يؤديها ولا يبقي ذمته مشتغلة بشيء منها، وهذا ما على المرء أن يكون قد انتهى منه قبل أن يطرقه الأجل، وأما حق الناس فهو أخطر ما يمكن أن نتصوره في الآخرة، ولنتأمل في هذه الروايات الشريفة التي تبين لنا مدى صعوبة هذا الأمر فعن رسول الله ﷺ: «الشهادة تكفّر كل شيء إلا الدَّين»[1].

وعنه ﷺ: «أول ما يهراق من دم الشهيد يغفر له ذنبه كله إلا الدَّين»[2].

فعلى المجاهد الاهتمام بأداء الحقوق لكي لا يدركه الأجل قبل أن يؤدي ما عليه ولا ينسى هنا الاهتمام بتدوين ما بحوزته من أمانات وديون خوف الضياع، فإن الأمر هنا لا ينحل إلا بعفو صاحب الحق، أو بإبراء ذمته بدفع الحق إليه، عن الإمام الباقر عليه السلام: «كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله إلا الدَّين، فإنه لا كفارة له إلا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحق»[3].

إذاً هذه بعض الأمور التي ينبغي للمجاهد أن يلتفت إليها في دار الممر قبيل انتقاله لذلك الدار وهو المقر الأبدي.

مراتب الشهادة

للشهادة مراتب، فليست كل الشهادات بنفس المرتبة، وليس كل الشهداء في نفس الرتبة في الجنة، فأفضل الشهداء كما ورد عن رسول الله ﷺ: «أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»[4].

---

(1) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥٢٤.

(2) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥٢٤.

(3) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥٢٤.

(4) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥٢٨.

ولنية الإنسان ومدى ارتباطه بالله تعالى وإخلاصه له الدور الأهم في رفعة مقام الشهادة التي وصل إليها.

شهداء لم يُقتلوا

هناك بعض المجاهدين ممن قضى عمره في الجهاد وطلب الشهادة، لكنه لم يوفّق لها، ولم تكن من نصيبه وقد يتوفى في نهاية المطاف وهو على الفراش، فهل مثل هذا المجاهد الصابر الذي بقي في خط الجهاد والشهادة حتى آخر رمق من حياته، هل هو محروم من الشهادة؟

يجيب عن ذلك الرواية عن رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»، وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه».

إذاً فلتكن مع الشهداء وفي خطهم واحمل بين جنبيك روحيتهم، فستكون شهيداً ولو متّ على فراشك.

وقد تحدثت كثير من الروايات عن حالات يكتب فيها أجر الشهيد لمن مات بأسباب خاصة، وسنستعرض بعض من لهم أجر الشهيد من خلال ما ورد في الروايات:

من قتل دفاعا عن أهله:

أي اعتدي على داره وأهله، بل حتى دفاعاً عن جاره، وعن ماله ومصالحه التي ينتفع منها في رزق عياله، فقام يدافع عن ذلك وقتل، فعن رسول الله ﷺ: «من قتل دون أهله ظلماً فهو شهيد ومن قتل دون ماله ظلماً فهو شهيد، ومن قتل دون جاره ظلماً فهو شهيد، ومن قتل في ذات الله عز وجل فهو شهيد»[1].

الموت في معرفة الله:

فمن مات على معرفة حقيقية بالله تعالى وحقّه وحقّ رسوله وأهل

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٦.

البيت ﷺ، كتب له أجر شهيد في سبيل الله تعالى، عن الإمام علي عليه السلام: «من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربه وحقّ رسوله وأهل بيته، مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه»(١).

الموت على حب آل الرسول ﷺ:

والحب هنا ليس الادعاء اللفظي، بل هو ارتباط قلبي لا بد وأن يظهر في الأعمال، فهو الحب العملي، الحب الذي يدفع الإنسان للالتزام بما حملوه إلينا من أحكام الدين، ففي الرواية عن رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً»(٢).

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «من مات منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»(٣).




خلاصة الدرس

لا بد من أمور يحصّلها الإنسان قبل أن ينتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية ومنها:

- الاستعداد النفسي والقلبي.
- عدم الغفلة.
- التجهز بالعمل الصالح
- أداء الحقوق.

للشهادة مراتب، فليست كل الشهادات بنفس المرتبة، وليس كل الشهداء في نفس الرتبة في الجنة، ولنية الإنسان ومدى ارتباطه بالله تعالى وإخلاصه له الدور الأهم

---

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٧.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٧.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ج٢، ص١٥١٧.

في رفعة مقام الشهادة التي وصل إليها، ومن حمل روحية الشهداء والتحق بركبهم فهو معهم حتى لو مات على فراشه».



أسئلة حول الدرس

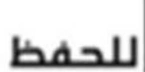
١ . من هو الشهيد الحقيقي؟

٢ . ما هي دور النية في التحضر للشهادة؟

٣ . كيف يستعد المجاهد للقاء الله؟

٤ . هل للشهادة مراتب ؟ أذكر بعضاً منها.







للحفظ

عن رسول الله ﷺ: «أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه».



فقه الجهاد

من أحكام الشهيد:

❖ اعتبار بدن الشهيد الذي سقط في المعركة دون أن يدركه أحد، بدناً طاهراً مباركاً، فمن كان حكمه عدم وجوب التغسيل والتكفين لا يجب على من مسه بعد برده غسل مس الميت يقول الإمام الخامنئي دام ظله: لا يجب غسل مس الميت بمس الشهيد الذي سقط عنه وجوب الغسل والتكفين[1].

(١) السيد الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص٧٢.





برداً وسلاماً

المنطقة كثيفة الأشجار، كثيرة الصخور، وعرة المسالك، بعض مرتفعاتها كالجدران صعبة المتعرجات، أضاف إليها رجال المقاومة دقةً في التمويه وحسن انضباط في التنقل وإخفاء الآثار والنفايات وأماكن التمركز حتى أن زائرهم إذا لم يكن معه مرشد لا يكاد يهتدي إلى أماكنهم.

ولقد ذهبت محاولات اليهود من أجل تحقيق إصابات في صفوف رجال المقاومة أدراج الرياح، فلا التقدم على الأرض أجدى نفعاً ولا صبّ أطنان من المتفجرات فوق المنطقة أثّر فيهم.

ولعل اليهود وعملاءهم لا ينامون قلقاً من هؤلاء الساهرين...

حتى تفتّقت أذهانهم عن خطة سوداء تستفيد من نفس الأجمات في المنطقة في القضاء على الأُسُود المتمركزة فيها أو حولها.

خلال حرب الأيام السبعة ظهر في أجواء منطقة إقليم التفاح طائرات يهودية، أخذت تلقي المئات من براميل البنزين التي كانت بمجرد اصطدامها بالأرض تفرغ الوقود الحسّاس الملتهب..

أحصاها الشباب فقدّروها بخمسمائة برميل...

في نفس الوقت كانت القذائف والصواريخ الملتهبة تنصبّ على نفس مناطق نزول براميل البنزين.

كثير من الأشجار ترطبت بالوقود السائل شديد الالتهاب، وتجمعت كميات من البنزين في غدران مختلفة.

وسقيت مساحات واسعة من القش اليابس في حرّ تموز بالسائل الحسّاس.

لقد كان يمكن أن يؤدي إشعال الأشجار والمنطقة وإحداث حرائق ضخمة تطوّق أسود المقاومة إلى أخطار حقيقية.

لكن حريقاً ذا قيمة لم يحدث.

لم يلتهب البنزين بالصواريخ والقذائف وبقيت الأشجار تقطر بنزيناً بارداً، فيما كانت القذائف تنهال على الصخور التي تجمعت في ثناياها بقايا البنزين كالغدران عقيب المطر.

لكن ناراً ما لم تشتعل.

ووقف الرجال ينتظرون. انتهت الغارة، وساد الصمت. وهبّت نسيمات باردة تعوّدها الشباب، وكانت الليلة التالية ليلة التندر بالحادث، وإحصاء البراميل التي تمزقت كلها وسقت بوقودها مساحات واسعة من غابات الإقليم.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

(1) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

الفهرس